

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية

تصدرها مجلة الأزهر

في كل شهر عربي

ماعداء شهرى ذى القعدة وذى الحجة

الجزء الثانى	٦١ صفر سنة ١٣٦٥	المجلد السابع عشر
--------------	-----------------	-------------------

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدى

الاشتراكات عمده سنة

الإدارة

داخل القطر ٢٠٠
لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ... ١٠٠
خارج القطر ٣٠٠

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

نعم الجزء الواحد ٢٠ مليا داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر - ١٩٤٥)

فہرِس

الجزء الثاني - المجلد السابع عشر

الموضوع		صفحة
شئون خطيرة في علاقات الأمم العربية ... بقلم	سعادة الأستاذ مدير المجلة ٤٩	
الدرس الديني »	حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ٥٥	
تصدير الجلال السيوطي »	» » » » » ٥٨	
تحفة الأستاذ الأكبر »	سعادة الأستاذ مدير المجلة ٦٣	
استقبال الأستاذ الأكبر »	» » » » » ٦٤	
كلمة الأستاذ الأكبر »	حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ٦٥	
تفسير سورة الكافرون »	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى ٦٧	
خير القرون »	» » » » طه الساكت ٦٩	
المشكلة الفلسفية العظمى - التناهي العقلي	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب ٧٢	
خالد بن الوليد »	فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون ٧٥	
بحث في مقارنة القوانين الوضعية »	» » صالح بكير ... ٧٩	
لغويات »	» » الشيخ محمد علي النجار ٨٣	
كلية »	سعادة الأستاذ عبد السلام ذهني بك ٨٦	
العقل والنقل والذوق »	حضرة الأستاذ سعيد زايد ... ٩٠	
لغة قريش »	فضيلة الأستاذ الشيخ علي محمد حسن ٩٣	

اعتذار

اضطربنا تراحم المقالات في هذا الشهر الى
ارجاء مقالنا في السيرة النبوية الى العدد القادم
فترجو القراء عذرا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شئون خطيرة في علاقات الأمم العربية

حضرة صاحب الجلالة ملك العرب

في ضيافة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر

رأى حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود عاهل العرب أن يرد الزيارة لحضرة صاحب الجلالة ملكنا المعظم فاروق الأول ، فقوبات هذه الارادة من جلالته ومن الأمة المصرية بسرور عظيم ، وشرع المختصون بمثل هذه الشئون في اتخاذ الالاهب لاستقبال العاهل العظيم بما يليق بمقامه الكريم .

ولما تعين يوم سفر جلالته قاصدا وادي النيل ، أبحرت السفينة الملكية (المحروسة) في اليوم السابع من يناير الجاري قاصدة جدة وعليها بعثة شرف للترحيب به واستصحابه الى مصر . وفي يوم الخميس قصد حضرة صاحب الجلالة ملك مصر مدينة السويس لاستقبال جلالته ضيفه العظيم ، وكان الوزراء وبعض رجال الدولة قد سبقوه إليها ، فوصل اليها محوطا باليمن والاقبال في الساعة العاشرة والرابع ، فتشرف مستقبلاوه بلثم بده ، ومضى جلالته الى السرايق الملكي ، وبعد أن استراح قليلا خرج فوقف أمامه لاستقبال زائره الجليل . وفي تلك اللحظة كانت المحروسة قد وصلت الى الميناء محوطة بمشترات من الزوارق البخارية تحيها البواخر الراسية فيها ، فصعدت موسيقاها بالنشيد الملكي ، وتصادت الهتافات من كل مكان ، وفي وسط هذه المظاهر من الترحيب وصلت السفينة الملكية الى المرفأ مقلة العاهل العربي العظيم ، فصعد الى سطحها حضرة صاحب الجلالة الفاروقية ووراءه وزيره الأول صاحب الدولة النقراشي باشا وحضرة صاحب المقام الرفيع رئيس ديوانه أحمد حسنين باشا ، وصاحب السعادة عبد الرحمن عزام باشا أمين الجامعة العربية .

وما وقع بصر حضرة صاحب الجلالة الملك على جلالته ضيفه العظيم حتى أقبل عليه يمانقه ، فكان ذلك مظهرا لأعظم صلات القربى بين شعبين عظيمين هما في طليعة الشعوب الشرقية .

ثم انتقل الملكان العظيمان الى حيث استراحا ، وهنا لك قدم جلالته الملك عبد العزيز لجلالة الفاروق أصحاب السمو أنجاله الكرام ، وكبار رجال حاشيته ، وقدم ملكنا المفدى لضيفه الجليل دولة رئيس وزرائه ورفعة رئيس ديوانه وغيرهما من أركان دولته .

ثم نزل الملكان العظيمان من البيخت وتبعهما من معهما قاصدين السرايق الملكي ومكنا به بضع دقائق ، ثم وقفا ومر أمامهما كبار السويسين محيين ، فكان يرد عليهم جلالته ملك العرب برفع يده السكرية .

وفي الساعة الحادية عشرة والربع انتقل صاحباً الجلالة الى القطار الملكي بين دوى المدافع وأصوات الهاوتين ، فسار بهما تحف به القلوب والأبصار ، وكان أهالي كل قرية مرربها يخرجون هاتفين محيين الملكين العظيمين ، حتى وصل الى الاسماعيليه ، وكانت محطتها قد لبست حلة من الزينات والأعلام ، وكان الأهليون يتزاحمون حول القطار ، وكان قد أعد سراق نغم قد أوى اليه كبار الموظفين والأعيان ، فلما وقف القطار أخذ جلالته ملكنا يقدمهم الى ضيفه العظيم ، ثم أذن للقطار بمتابعة سيره الى القصاصين ، وبعد أن وقف دقيقة بين مظاهر التبجيل والتكريم ، سار قاصدا الزقازيق ، وقبل الوصول اليها حانت صلاة الظهر فدعا حضرة صاحب الجلالة الفاروق إمامه للصلاة ، وبعد إتمامها دعا جلالته ضيفه والأمراء الذين معه وبعثة الشرف وكبار رجال الحاشية الى مائدته بالقطار الخاص ، وبلغ الركب الزقازيق في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة ، وكانت محطتها وساحتها وأسطحة المنازل المطلة عليها فاصة بالناس ، وتفضل جلالته الملك بتقديم المدير وكبار الموظفين والأعيان لجلالته الملك عبد العزيز ، وهنا كان ألوف من طلبة المعهد الديني تدوى أصواتهم بالدعاء للملكين والدولتين . وكانت الحال في بنها على ما كانت عليه في الزقازيق من حيث خفوف الحكام والأهالي لنحية جلالتي الملكين . وسار القطار محفوا برعاية الله حتى وصل الى القاهرة ، فكان في استقبال العاهلين السكريمين أصحاب السمو الأمير محمد على ومجد عبد المنعم وبقية الأمراء والنبلاء وأصهار البيت الملكي ، يتقدمهم صاحب المقام الرفيع شريف صبرى باشا وحسين صبرى باشا ويوسف ذو الفقار باشا . ثم صاحب السعادة رئيس مجلس الشيوخ ورئيس مجلس النواب وأصحاب المعالي الوزراء وكبار رجال القصر ورئيس هيئة أركان حرب الجيش ومحافظ العاصمة وحكدارها وقائد منطقته . واصطف على مدخل الباب الملكي حضرات أفراد النزلاء السموديين وأعضاء البعثة العربية ، وكانت المحطة في أبهى حللها فرشت بالبسط الفاخرة وتزفر في جوانبها الأعلام الزاهية .

ولما دنا القطار من المحطة دوت المحطة بالهتاف والترحيب للملكين العظيمين ، ونزل جلالته الفاروق ثم تلاه جلالته الملك عبد العزيز ، فقدم إليه مضيفه أصحاب السمو الأمراء وأصحاب السعادة النبلاء والوزراء وكبار رجال القصر فصالحهم جلالته جميعا .

ثم استعرض جلالته قره قول الشرف الذي أعد لنحيته ، وعزفت الموسيقى الملكية بالسلام الملكي ، وأطلقت المدافع . وركب صاحباً الجلالة المركبة الملكية تجرها ثمانية من الجياد ، على حين كانت هتافات النظارة تشق عنان السماء .

وتبعت عربة جلالتهما عربة أقلت الأمير عبد الله بن عبد الرحمن شقيق جلالته الملك عبد العزيز وركب معه صاحب السمو الأمير عبد المنعم ، ثم تبعتهما سيارات تقل أنجال جلالته العاهل العربي ، في كل منها أمير عربي ومعه أمير أو نبيل ، تلتها سيارات أخرى أقلت رجال الحاشيتين .

سار الموكب السامى بالملسكين قاصدا سراى عابدين يحف به الفرسان بملابس التشرىف وكبكبة من الضباط راكبى الموتوسيكلات ، ثم يلهم كبكبة من الفرسان حاملى الاعلام ، ثم يلهم مجموعة أخرى من الفرسان . وكان جنود الجيش مصطفين على جانبى الطريق ، والشعب محشد خلفهم فى تراحم شديد ، وأسراب الطائرات تحلق فى الجو . وواصل الموكب الملكى سيره مختفيا أفواس النهر حتى وصل الى القصر فاستراح الملكان فيه قليلا ، ثم استقلا سيارة ملكية تحيط بها موتوسيكلات كثيرة تتبعها سيارات تقل رجال الحاشية . وكانت الجنود مصطفة على جانبى الطريق يحيط بهم الجماهير هاتفين بحمين ، حتى وصل الركب الى سراى الزعفران ، حيث أعيدت لمقام جلالة العاهل العظيم . ولما استقر به هنالك المقام عاد جلالة ملكنا الى سراى عابدين .

وفى الساعة السابعة والثلاث استقل جلالة الملك عبد العزيز سيارة ملكية أوصلته الى قصر عابدين ، حيث أقيمت مأدبة عشاء حضرها أصحاب السمو الأمراء وكثير من الكبراء . وأعقب الوليمة حفلة ساهرة حضرها السفير البريطانى ووزراء الدول المفوضون ووجوه النزلاء العرب .

وقد تضمن برنامج هذه الحفلة بعض الألعاب الرياضية والسجاوية . وألقى الشاعر المجيد الشيخ محمد الأمير قصيدة عصماء ، وألقى كذلك الشاعر الكبير خليل بك مطران قصيدة غراء . ومثلت الفرقة القومية فصلا من رواية صلاح الدين . وبعد ذلك تفضل ملكنا المعظم بتقديم سمادة عبد الله للموم باشا الى جلالة الملك عبد العزيز ، فقدم إليه حضرات مطابخ القبائل العربية المصرية .

صلاة جلالتي الملكين بالجامع الأزهر

قبيل الساعة الحادية عشرة تحرك ركاب جلالة الملك قاصدا سراى الزعفران ، وهنا لك التى بضيفه الكريم ، وفى الساعة الحادية عشرة بارح جلالتهما السراى قاصدين الى الجامع الأزهر لتأدية صلاة الجمعة فى ركب مهيب ، وكانت الشوارع والسوح التى مرابها خاصة بألوف مؤلفة من أفراد الشعب يحيونهما بالهتاف والدعاء ، وكان شارع الأزهر يرفل فى زينة تعتبر غاية فى الابداع . واشتركت مشيخة الأزهر ووزارة الأوقاف فى إقامة أجمل الزينات فى ساحة الأزهر وفى داخله . وكان ألوف من المصلين قد احتشدوا داخل الأزهر ، وكان يشرف على النظام فيه حضرات أصحاب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن مدير الأزهر ومعهده والشيخ محمد عبد اللطيف دراز السكرتير العام للأزهر .

وكان فى شرف استقبالهما سمو الأمير محمد عبد المنعم ودولة رئيس الوزراء وحضرة صاحب

الفضيلة الأستاذ الأكبر ، وسعادة رئيس مجلس النواب ووزير الأفغان والعراق المفوضين ، وحضرات أعضاء مجلس الأزهر الأعلى، وكبار رجال القصر يتقدمهم رفعة رئيس الديوان الملكي، ورئيس أركان حرب الجيش ومحافظ القاهرة وفضيلة السكرتير العام للأزهر وغيرهم . وفي الساعة الحادية عشرة وعدة دقائق شرف ركب جلالتى الملكين فقبلا بأعظم مظاهر الاجلال والتكريم ودخلا المسجد محاطين بما ذكرنا من كبار المستقبلين . ولما وصلا الى المحراب صلى كل منها ركعتين تحية المسجد ثم جلسا ، وكان مرثل القرآن الكريم القارى الشهير الشيخ عبد الفتاح الشمشاعى . وجلس حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر على كرسية أمام حضرتى صاحبي الجلالة الملكين وألقى حديثا دينيا كان له وقع عظيم سننشره عقب خطبة الصلاة .

ولما حان وقت الصلاة رقى المنبر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر ، وألقى خطبة حكيمة شرح فيها الآية الكريمة التى بين الله فيها الأخوة الطبيعية بين آحاد البشر ، والتعارف العالمى بين جميع الأمم ، فكان لهذه الخطبة حظ عظيم من الاستحسان ، ومناسبة تامة لما تتوجه اليه القلوب من الوحدة بين أمم العرب . وكان فضيلته كعادته فى جميع مواقفه الخطابية يجمع بين حسن الالتقاء ، وروعة البيان ، مما كان له أعظم وقع فى النفوس ، وأكمل أثر فى القلوب ، ثم نزل وصلى بالملكين الجليلين وبمن حضر من أوف العلماء وكبار الموظفين والأعيان وطلبة العلم . ونحن ننشر الخطبة ثم نعقبها بالدريس ، قال حفظه الله :

الخطبة الاولى

الحمد لله له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب السموات ورب الأرض، رب العالمين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه .

قال الله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » .

بهذه الآية الكريمة حقق الله جل جلاله أسمى معانى المساواة بين الناس ، وقرر ما ينبغى أن يقوم عليه نظام أمرهم من اللفة والتعارف ، وجعل التقوى والعمل الصالح معيار التفاضل بين البشر .

يقول تعالى ذكره فى هذه الآية : يا أيها الناس إن خالقكم واحد ، وإن منشئكم واحد من أبوين ، وقد قسمكم البارئ شعوبا وفرقكم قبائل ، لا لتفاوت يجعل لبعضكم على بعض فضلا ، ولا لتخذوا من هذا التفريق مثارا للمداوة والشحناء .

إن الله لا ينظر الى شعوبكم وأصولكم ، وإنما ينظر الى أخلاقكم الفاضلة وأعمالكم الصالحة ،
فهى التى تقربكم الى الله زلفى . وإذا كان فى الناس من لا يزال الى اليوم يقضى بينهم على أساس
من اللون والدم فإن دين الاسلام لا وزن عنده للون ولا دم ، إنما هى الأخلاق الفاضلة
والاعمال الصالحة ، والتعارف والتآلف والتعاون بين الأمم .

وقد أقام الله أسباب النظام فى أمور الناس على المحبة ثم العدالة ، فلو تحاب الناس وتعاملوا
بالمحبة لاستغنوا عن العدالة . ولفضل وقوع المحبة شرعا عظم الله المنة بإيقاع المحبة والآلفة
بين أهل الملة .

قال تعالى : « وألف بين قلوبهم » ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن
الله ألفت بينهم ، إنه عزيز حكيم .

وقال تعالى فى تفخيم شأن المحبة بين الناس : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا » .

عنى الاسلام بما فيه سعادة الناس فى دنياهم وفى آخراهم ، وحتم على أن يعملوا صالحا لمعاشهم
ومعادم : قال الله تعالى : « يأيا الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير
لعلكم تفلحون » .

وقال الرسول عليه السلام « من سلب الرزق على ما يسن فهو جهاد » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب الصانع الخاذق » .

والناس فى مراعاة الدنيا والآخرة أصناف ثلاثة :

(١) صنف منه المنهوكون فى الدنيا بلا نظر الى العقبى .

(٢) وصنف يراعون العقبى من غير مراعاة لمصالح الدنيا .

(٣) وصنف أعطوا الدارين حقهما ، وهذا الصنف هم الأفضلون لأن بهم قوام أسباب
الدنيا والآخرة ، ومنهم طامة الأنبياء ، لأن الله عز وجل بعثهم لإقامة مصالح المعاد والمعاش .
وجعل قوم أفضل الجميع النساك الذين رفضوا الدنيا ، محتجين بقوله تعالى : « وما خلقت الجن
والانس إلا ليعبدون » .

يقول صاحب التريفة الراغب الأصفهاني :

وخفى على هؤلاء أن أعظم عبادة الله تعالى ما كان عائدا بمصالح عباده . وروى ابن مسعود
رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخلق كلهم عيال الله ، وأجبهم اليه أنفعهم
لعياله » .

عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله أماسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمسكانهم من الله تعالى » قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم ؟

قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن جوهرهم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » وقرأ هذه الآية : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » أخرجه أبو داود .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله له العزة والكبرياء ، وله الحكم فى الأرض وله الحكم فى السماء ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله جاء بالكتاب الكريم والحق المين .

اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وسلمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

أما بعد فإن القرآن كتاب الله أنزله الله هدى ونورا ، وبعث به محمدا بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

وعلى أساس القرآن وما جمع من أصول الفضائل ، وأسباب الطهارة الروحية ، وقواعد السياسة العادلة ، نهض الاسلام نهضته الأولى .

وعلى هذا الأساس تقوم نهضة المسلمين التى نرقب اليوم بشاؤها ، ونحى على بركة الله أعلامها .

ومن حق القرآن الشريف على المسلمين فى جميع أقطار الأرض أن يعنوا بحفظه وتلاوته ، ونذره ودراسته ، والعمل بما فيه ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه .

وفى الحديث : « لكل شىء مصقلة ومصقلة القلب تلاوة القرآن » .

والقرآن هو عروة الله الوثقى التى لا انفصام لها ، وهو بين المسلمين حبل الوحدة المتين ، يجمع على ذكر الله قلوبهم ، ويوجه أرواحهم الى الله بالعبادة وبالطاعة مع العبادة .

« وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فاستجبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

اللهم اغفر لنا وارحمنا ، وعافنا واعف عنا ، واهدنا وهدنا .

اللهم أصلح لنا ديننا ، وأصلح لنا دنيانا ، وهي لنا من أمرنا رشدا .
 ربنا اجعل كلمة الاسلام هي العليا ، وهب للمسلمين من لدنك إيمانا لا تزلله فتنة ،
 وعزة لا تدركها ذلة ، ونصرا لا يغلبه مغالب .
 ونسألك اللهم أن تكلأ برعايتك عبدك الملك فاروقا الأول وسائر إخوانه من ملوك
 المسلمين وولاة أمورهم .
 اللهم أيدم بتأييدك ، وأمدم بمعونك ، اللهم اجمع على الحق كلمتهم ، وقو في سبيل الله
 شوكتهم ، إنك نعم المولى ونعم النصير .
 « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ،
 ربنا إنك رؤوف رحيم » .

وهذا هو الدرس الذي ألقاه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أمام حضرتي
 صاحبي الجلالة الملكين العظيمين .
 بسم الله الرحمن الرحيم :

منذ حوالي خمسمائة عام ألقى العالم الشهير « جلال الدين السيوطي » المتوفى سنة ٩١١ هـ
 أول درس من دروسه حين أجلس للتدريس ، بحضور شيوخه وكبار القضاة والأفاضل في عهده ،
 وقد ألقى هذا الدرس في جامع شيخون المسجد المعروف في هذه العاصمة .

وقد عثرت في دار الكتب الأزهرية على مخطوطة تجمع مؤلفات ورسائل للجلال السيوطي
 رحمه الله ، وورد في هذه المجموعة أنها بخط المؤلف . ومما حوته هذه المجموعة رسالة جاء
 في أولها : « تصدير مبارك ألقينته يوم أجلست للتدريس بجامع شيخو ، رحمه الله ، بحضرة
 شيخنا قاضي القضاة شيخ الاسلام علم الدين البلقيني وجماعة من القضاة والأفاضل وذلك
 يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة ٨٦٧ هـ ، وقد مضى من عمري ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر
 وثمانية أيام والحمد لله » .

هذا الدرس الذي ألقاه السيوطي في مفتتح عهده بالتدريس هو في تفسير آية من سورة
 « الفتح » الكريمة .

ورأيت من المناسب لهذه الفرصة السعيدة التي جمعت بين ملكين صالحين عظيمين من
 ملوك الاسلام في هذا المسجد الشريف أن أحيي أنرا كان مفقودا من آثار عالم أزهرى جليل له
 في خدمة العلوم الاسلامية نصيب مشكور .

ومن بمن الطالع أن هذا الدرس يتناول تفسير آية كريمة وعد الله فيها نبيه فتحاً مبيناً ونصراً عزيزاً . وفي بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أنزلت عليه هذه الآية قال : « لقد أنزل على آية هي أحب إلي من الدنيا وما فيها » وفي رواية : « مما طلعت عليه الشمس » . وهذا التصدير على صغر حجمه يفيد الباحثين في تطور الدراسات الإسلامية وأساليبها ، وفي الطرق التي كانت تعتمد عليها مدارس المسلمين في إجازة طلابها وتخرجهم .

وقد بدأ المؤلف درسه بذكر المراجع التي طالعها فقال : « طالعت على هذا التصدير الكشف وتفسير الإمام الرازي وتفسير الإمام ابن العربي والبحر لأبي حيان وأسباب النزول للواحدى وتفسير السجاوندى وينبوع الحياة لابن ظفر وصحاح الجوهرى ، والخطبة إلى آخر الصلاة من كلام الإمام الشافعى رضى الله عنه ، يعنى من خطبة « الرسالة » ، » .

وبعد أن حمد الله بما حمد به الإمام الشافعى في صدر « الرسالة » ، وصلى على النبي وآله قال : « ورضى الله عن السادة الصحابة أجمعين وعن إمامنا الشافعى المظهر وسائر الأئمة وعن سيدنا ومولانا شيخ الإسلام ووالده شيخ الإسلام وسائر مشايخنا والسادة الحاضرين وجميع المسلمين ، ثم قال : « أما بعد فقد قال الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليعقر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيماً ، وينصرك الله نصراً عزيزاً » .

مركز تحقيق كاتبيوتر علوم إسلامي

الكلام على هذه الآية من جهات : الأولى سبب النزول ومكانه وزمنه ، والثانية علم اللغة ، والثالثة علم الاعراب ، والرابعة علم المعانى ، الخامسة علم التفسير .

أقول : قدمت أولاً الكلام على النزول وما يتعلق به ، ومناسبة تقديمه ظاهرة ، وتنبئت باللغة وقدمتها على الاعراب ، لأنها تبين المعنى ، والاعراب فرعها ومتوقف على معرفته ، وثالثت بالاعراب وقدمته على المعانى الذى هو نعمة الاعراب ثم تلاه المعانى ، ولما انتهيت من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية وهو التفسير وبيان المراد ، ثم ختمت بالنهاية وهو علم التصوف ، وهذا ترتيب حسن لطيف ، .

وبداً بالكلام على سبب النزول وما يتعلق به نقلاً عن الواحدى ، ثم تكلم عن اللغة فبين معنى النصر والبيان والمغفرة والذنب والنعمة والهدى والصراط المستقيم والعزير . وذكر بعد ذلك ما يتعلق بالآية من جهة الاعراب ، ثم ما يتعلق بها من جهة علم المعانى .

ثم قال : « وأما ما يتعلق بها من جهة التفسير ، قوله « إنا فتحنا » في المراد بالفتح هنا أقوال أحدها فتح مكة واختاره الفخر الرازى من الجميع وأبو حيان ، والثانى عام الحديبية عند

انفسكا كه منها ، والثالث قاله مجاهد - دفتح خير وفي بعض الآي ما يدل عليه ، والرابع قال الضحاك : والمراد فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ، ولافتح أبين منه وأعظم ، وهو رأس الفتوح كلها ، إذ لا فتح من فتوح الاسلام إلا وهو عنه ومشتق منه . الخامس قال غيره : المراد نصر الله تعالى على أهل مكة أنك تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبیت . قوله : « ماتقدم من ذنبك وما تأخر » قال ابن عباس : ماتقدم قبل النبوة وما تأخر بعدها . وقال غيره : ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له . وقال سفيان وما تأخر هو ما لم يعلمه . وقال آخر : المتقدم والمتأخر معا ما كان قبل النبوة . وقال آخر : تأكيد للمبالغة كما تقول : أحبتك حتى عرفك ومن لم يعرفك . وقال آخر : ماتقدم من ذنبك يعني من ذنب أبيك آدم وحواء ، وما تأخر : ذنوب أمتك . وقال آخر : المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه . قوله : « ويتم نعمته عليك » قيل بالنبوة والحكمة ، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر ، وقيل بخضوع من استكبر ، والصحيح بدخول الجنة .

قوله : « ويهديك » المراد يثبتك على الهدى كما في قوله : « يأيها النبي اتق الله » « يأيها الذين آمنوا آمنوا » وأمثال ذلك . قوله : « صراطا مستقيما » المراد به هنا الاسلام . وآخر جملة في هذه الرسالة هي : « وأما من جهة علم التصوف » ثم يتلوها بياض بالأصل مقداره نحو ثلاثة أسطر بخط السيوطي الدقيق .

وإذا كان لم يصل إلينا ما كتبه السيوطي في تصديده عن التصوف فإن بعض المؤلفين أشار في تحديد معاني الفتح إلى معنى هو أقرب إلى معاني الصوفية . قال الراغب في كتابه « المفردات في غريب القرآن » : « وقوله إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، قيل عنى فتح مكة ، وقيل بل عنى مافتح على النبي من العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة التي صارت سببا لغفران الذنوب » ولعل هذا المعنى هو الذي عبر عنه بعض المفسرين بالالهام .

وتوجه إلى الله جل جلاله أن يفتح للمسلمين العظيمين فتحا مبينا ، ليغفر الله لهما ما تقدم من ذنبهما وما تأخر ، ويتم نعمته عليهما ، ويهديهما صراطا مستقيما ، وينصرهما نصرا عزيزا .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

تصدير (*)

وهذا هو نص التصدير الذى ألقاه الجلال السيوطى مذيلا

بمعليقات حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

تصدير مبارك ألقينته يوم أُجْلِستُ للتدريس بجامع شيخوخة رحمه الله ، بحضرة شيخنا قاضى القضاة شيخ الاسلام علم الدين البلقينى (١) وجماعة من القضاة والأفاضل وذلك يوم الثلاثاء ناسع ذى القعدة سنة ٨٦٧ ، (٢) وقد مضى من عمرى ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام (٣) .

الحمد لله طالعت على هذا التصدير الكشاف (٤) وتفسير الامام الرازى (٥) وتفسير الامام ابن العربى (٦) والبحر لأبى حيان (٧) وأسباب النزول للواحدى (٨) وتفسير

(*) عن المخطوط رقم ٢٠٤ من المجاميع بدار الكتب الأزهرية ، والتصدير يقع فى ثمانية وعشرين سطرا من ظهر الورقة السابقة للأخيرة ، وأربعة وعشرين سطرا فى وجه الورقة الأخيرة ، وهذا المخطوط يحتوى على مؤلفات أخرى للسيوطى ، وقد كتب عليه أنه بخط الجلال السيوطى نفسه .

(١) هو الامام علم الدين صالح بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى ، ولد سنة ٥٧٩١ . تولى مشيخة الحشاية بجامع عمرو بن العاص ، وهى المشهورة بزاوية الامام الشافعى ، وتولى القضاء الأكبر فى سنة ٨٢٦ هـ . ألّف تفسير القرآن ، قرأ السيوطى عليه الفقه وأجازه بالتدريس ، توفى فى الخامس من رجب سنة ٨٦٨ هـ .

(٢) يوافق ٢٧ يولية سنة ١٤٦٣ .

(٣) لأن السيوطى ولد بالقاهرة ليلة منهل رجب سنة ٨٤٩ الموافق ٣ أكتوبر سنة ١٤٤٥ .

(٤) هو التفسير القيم الذى ألفه الزينبى جارية أبو النّاسم محمود بن عمر بن محمد المتوفى بمرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ .

(٥) المقصود هو التفسير الكبير المسمى « مفاتيح الغيب » والامام الرازى هو الحر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى المتكلم الأشعرى المشهور ، ويعرف أيضا بابن الخطيب ، وهو شافعى فى الفقه ، ولد سنة ٥٤١ هـ وقبل سنة ٥٤٣ هـ وتوفى يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ ولم يتم تفسيره فأتمه غيره بعد وفاته .

(٦) هو الشيخ محى الدين محمد بن على الطائى الأندلسى الصوفى المعروف بالشيخ الأكبر المتوفى سنة ٦٣٨ هـ وله تفسير كبير على طريقة أهل التصوف اختصره فى ثمانية أسفار .

(٧) البحر المحيط فى تفسير القرآن لأبى حيان محمد بن يوسف النفاطى الجبائى أمير الدين . ولد فى آخر شوال سنة ٦٥٤ هـ وسمع بالأندلس وأفريقية والأسكندرية ومصر والحجاز ، وهو شافعى يميل إلى الظاهر ، توفى فى ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هـ .

(٨) هو أسباب نزول القرآن لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ فى

جاءى الآخرة وكان أستاذ عصره فى النحو والتفسير

السجائوندي (١) وبقبوع الحياة لابن ظفر (٢) وصحاح الجوهرى (٣).

والخطبة الى آخر الصلاة من كلام الامام الشافعى رضى الله عنه (٤).

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا برهم يعدلون ، والحمد لله الذى لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدى ماضى نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها ، ولا يبلغ الوصفون كنه عظمته ، الذى هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه . أحمد حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به . وأشهد بهداه الذى لا يضل من أنعم به عليه . وأستغفره لما أزلت وأخرت استغفار من يقر بعبوديته ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجي منه إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله (٥) . صلى الله عليه وعلى آله كما صلى على ابراهيم وآل ابراهيم إنه حميد مجيد ، ورضى الله عن السادة الصحابة أجمعين ، وعن إمامنا الامام الشافعى المطلبى وسائر الأئمة ، وعن سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ووالده شيخ الاسلام وسائر مشايخنا والسادة الحاضرين وجميع المسلمين (٦) .

أما بعد - فقد قال الله تعالى « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويؤتيك نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيماً ، وينصرك الله نصراً عزيزاً » (٧) . الكلام على هذه الآية من جهات : الأولى سبب النزول ومكانه وزمنه . الثانية علم اللغة . الثالثة علم الاعراب . الرابعة علم المعانى . الخامسة علم التفسير (٨) .

أقول : قدمت أولاً الكلام على النزول وما يتعلق به ، ومناسبة تقديمه ظاهرة ، وثبتت بال لغة وقدمتها على الاعراب ، لأنها تبين المعنى ، والاعراب فرع ومتوقف على معرفته ، وثالثت بالاعراب وقدمته على المعانى الذى هو ثمرة الاعراب ، ثم تلاه المعانى ، ولما انتهت

(١) هو محمد بن طيفور أبو عبد الله السجائوندي الفزنوى ، توفى فى حدود سنة ٥٦٠ هـ .

(٢) هو حجة الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي ، توفى بحجة سنة ٥٦٥ هـ .

(٣) « الصحاح فى اللغة » للجوهري وهو أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابى من أئمة اللغة توفى بنيسابور فى حدود سنة ٤٠٠ هـ .

(٤) خطبة « الرسالة » للامام الشافعى ، ص ٧ - ٨ من تحرير الشيخ أحمد محمد شاكر

(٥) إلى هنا ينتهى كلام الشافعى فى خطبة « الرسالة »

(٦) هنا جاء فى الأصل : قوله سيدنا ومولانا ، أقول هو شيخنا علم الدين البلقين ابن الشيخ سراج الدين .

(٧) سورة ٤٨ مدنية نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحربية ، آيات ١ - ٣ .

(٨) هنا جاء فى الأصل « الكلام على هذه الآية من جهات : الأولى سبب النزول الثانية إلى آخره » .

من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية وهو التفسير وبيان المراد؛ ثم ختمت بالنهاية وهو علم التصوف . وهذا ترتيب حسن لطيف .

أما سبب النزول وما يتعلق به فقال الامام أبو الحسن الواحدى رحمه الله : روى عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم » (١) ، قال المشركون : كيف ندخل في دينك وأنت لا تدري ما يفعل بك وبمن اتبعك ؟ فنزل قوله تعالى : إنا فتحنا لك إلى آخره . قوله روى عن ابن عباس الخ أقول قوله ابن عباس هذا حكمه حكم المرفوع . وروى أنه لما نزل : ليغفر لك الله ، قال له أصحابه : هنيئاً لك يا رسول الله الجنة لك أقالنا ؟ فنزل : ليُدخل المؤمنين والمؤمنات جنات إلى آخره (٢) ، ولما نزل : ويتم نعمته عليك ، قالوا كذلك فنزل : « اليوم أكملت لكم دينكم » (٣) ، ولما نزل : وينصرك الله نصراً عزيزاً ، قالوا كذلك فنزل : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » (٤)

وروى أن قوله تعالى : إنا فتحنا لك إلى آخره نزل بين مكة والمدينة في شأن الحديبية . قال أنس (٥) ، رضى الله تعالى عنه : لما رجعنا من الحديبية وقد حيل بيننا وبين تسكنا ونحن بالحزن والبكاء ، أنزل الله تعالى : إنا فتحنا لك إلى آخره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أنزل على آية هي أحب إلى من الدنيا وما فيها . وفي رواية : مما طلعت عليه الشمس . وفي الصحيح أنه نزل ليلاً (٦)

وأما ما يتعلق بالآية من جهة اللغة ، فقال الامام أبو نصر الجوهري في صحاحه : الفتح يطلق على النصر وعلى الحكم ، ومنه : « افتتح بيتنا وبين قومنا بالحق » (٧) ، وعلى الماء يجري من عين أو غيرها . والمبين من أبان الشيء إذا أوضحه ، ومنه بان أى اتضح ، واستبان أى ظهر ، واستبفته أى عرفته ، والتبيين الايضاح والوضوح أيضاً . والبيان الفصاحة وما به يتبين الشيء من دلالة وغيرها . ومبين أيضاً اسم ماء ، قال الشاعر : ياربها اليوم على مدين ، أى

(١) سورة ٤٦ آية ٩ (مكية) .

(٢) سورة ٤٨ آية ٥ (مدنية) .

(٣) سورة ٥ آية ٣ (نزلت بمرقات في حجة الوداع) .

(٤) سورة ٣٠ آية ٤٧ (مكية) .

(٥) الامام أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصارى المدنى . لازم رسول الله منذ هاجر إلى أن مات وكان آخر الصحابة موتاً . واختلف في سنة وفاته ، قيل : سنة ٩٠ ، وقيل : سنة ٩١ ، وقيل : سنة ٩٢ ، وقيل : سنة ٩٣ .

(٦) الحديث على هذا النحو أقرب إلى رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونحوه كما جاء في صحيح البخاري : « لقد أنزلت على القيلة سورة لمي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » . وفي غيره من كتب الحديث : « نزل على البارحة سورة لمي أحب إلى من الدنيا وما فيها » . وأما على نحو ما رواه أنس فالأصل هو : « لقد أنزلت على القيلة آية أحب إلى مما على الأرض » . (٧) سورة ٧ آية ٨٩ (مكية) .

يارى نافتى على هذا الماء . والمغفرة من الغفر وهو الستر والتغطية ، ومنه غفرت المتاع جعلته في الوعاء . والمغفر زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، ويقال من هذه المادة : استغفر الله لذنبه ومن ذنبه وذنبه ، والفعل غفر يغفر ، وجاء في لغة غير يغفر ، والمصدر مغفرة وغفرانا وغفرا ، وجاء في لغة غفرا . والذنب الجرم ، والفعل منه أذنب . والنعمة اليد والصنعة ، وكذلك النعمى والنماء والنعم . ويقال : فلان واسع النعمة أى واسع المال . والهدى يطلق على أمور : أحدها خلق الاهتداء ، ومنه : « إنك لا تهدي من أحببت » (١) : الثاني الدلالة بلطف ، ومنه : « وإنك لتهدي الى صراط مستقيم » (٢) : الثالث التقدم ، ومنه هوادى الخيل لتقدمها . الرابع التبيين ، ومنه : « وأما نمود فهدينام » ، كذا قيل ، ويظهر لى أن هذا متحد مع الثاني . الخامس الإلهام ، ومنه : « أعطى كل شئ خلقه ثم هدى » (٣) أى ألهم لمصالحه . السادس الدعاء ، ومنه : « ولعل قوم هاد » (٤) ، أى داع . والصراط هو الطريق الواضح . والصاد لغة قریش ، وطامة العرب يجعلونها سينا ، وكعب يجعلونها زايا ، وأهل الحجاز يؤثثونه كالطريق والسبيل والزقاق والسوق ، وبنو تميم يذكرون هذا كله . وجمعه صراط ككتاب وكتب . والمستقيم ضد المعوج . والنصر مصدر نصره على عدوه ينصره والاسم منه النصرة . ويقال نصر الغيث الأرض أى غائها . ونصرت الأرض أى مطرت . والعزیز هو الغالب ، ويطلق على المحتاج إليه القليل الوجود .

وأما ما يتعلق بها من جهة الإعراب فقوله : ليغفر لك الله . اختلف في اللام هنا ، فقال صاحب « الكشف » رحمه الله : للتعليل . قال : فإن قلت : كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة ؟ قلت : لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عُدَّ من الأمور الأربعة وهى المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز . وأجاب بجواب آخر وهو أنه يجوز أن يكون فتح مكة ، من حيث إنه جهاد للعدو ، سببا للغفران والثواب ، قوله : وأجاب الخ ، أقول : هذا الجواب على تسليم أنه جعل مكة (٥) للمغفرة . وأجاب الامام نجر الدين (٦) بجوابين غير هذين . وقيل اللام هنا للعاقبة ، والمراد أن الله فتح لك لكي يجعل لك علامة لغفرانه لك ، وقيل هى لام القسم وكسرت لحذف النون من الفعل لشبهها بلام كي ، ورد هذا الوجه بأن لام القسم لا تكسر وينصب بها ، ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد فى معنى ليقومون زيد . قال أبو حيان فى « البحر » مجيبا عن هذا الرد : أما الكسر فقد علل بأنه لشبهه بلام كي ،

(١) سورة ٢٨ آية ٥٦ (مكية) . (٢) سورة ٢٢ آية ٥٢ (مكية) .

(٣) سورة ٢٠ آية ٥٠ (مكية) . (٤) سورة ١٣ آية ٧ (مدنية) .

(٥) هكذا فى الأصل وأما الصواب « جعل فتح مكة » .

(٦) المقصود فخر الدين محمد بن عمر الرازى صاحب التفسير الكبير المسمى « مفاتيح الغيب » .

وأما النصب فله أن يقول ليس هذا نصبا لكونها الحركة التي تكون مع وجود النون بقيت بعد حذفها دلالة على الحذف . قال : وبعد ، فهذا القول ليس بشيء ، إذ لا يحفظ من كلامهم والله لنقوم ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل مفتوحا .

وأما ما يتعلق بها من جهة المعاني ، ففي قوله : « إنا فتحنا » ، وقوله : « ليغفر لك الله » الثغرات من التكلم الى الغيبة ، ونكتته أنه لما كان الغفران وإتمام النعمة والهداية والنصر يشترك في إطلاقها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وغيره بقوله : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (١) » ، وقوله : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم (٢) » ، وقوله : « يهدي من يشاء (٣) » ، وقوله : « إنهم لهم المنصورون (٤) » ، ولم يكن الفتح لاحد إلا للرسول ، أسنده تعالى الى نون العظمة تفخيا لشأنه ، وأسند تلك الأشياء الأربعة الى الظاهر واشتركت الخمسة في الخطاب له ، صلى الله عليه وسلم ، تأنيسا له وتعظيما لشأنه ، ولم يؤت بالاسم الظاهر ، لأن في الإقبال على المخاطب ما لا يكون في الاسم الظاهر . وفي قوله : « نصرا عزيزا » ، إسناد العزة الى النصر وهو مجاز ، فالعزيز حقيقة هو المنصور ، صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيه مجاز الحذف ، والتقدير « عزيزا صاحبه » . وأعيد لفظ الله في : « وينصرك الله » لئلا بعد عما عطف عليه وليكون المبدأ مسندا الى الاسم الظاهر والمنتهى كذلك . قوله : الثغرات الخ ، أقول : لم يذكر ذلك في « الكشف » وأشار اليه أبو حيان في « البحر » تلويحا لا تصریحا ، وقوله : وقيل فيه مجاز الحذف ، أقول : هذا من تعبيرى وتصريفى .

وأما ما يتعلق بها من جهة التفسير ، قوله « إنا فتحنا » في المراد بالفتح هنا أقوال : أحدها فتح مكة واختاره الفخر (٥) الرازى من الجميع وأبو حيان . والثاني قام الحديبية عند انفكاكها منها . والثالث قاله مجاهد (٦) فتح خيبر وفي بعض الآي ما يدل عليه . والرابع قال الضحاك (٧) : المراد فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة والحجة (٨) والتسيف ، والفتح (٩) أبين منه وأعظم

(١) سورة ٤ آية ٤٨ [مدنية] . (٢) سورة ٢ آية ٤٠ و ٤٧ و ١٢٢ « وهي حيفا مدنية » .

(٣) مكرر في أكثر من آية . مثلا ٢ : ١٤٢ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ « وهي حيفا مدنية » .

(٤) سورة ٣٧ آية ١٧٢ « مكية » .

(٥) في الاصل « وأبو بكر » ، وهو لاشك سهو ، وكنية الرازى المفسر صاحب « فقايع الغيب » هي

أبو عبد الله أو أبو الفضل وهو بلقبه أعرف .

(٦) مجاهد بن جبر المكي الامام المفسر الحافظ ، مات سنة ١٠٣ بمكة عن ثلاث وثمانين سنة .

(٧) الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الحافظ ، مات بالبصرة في الرابع عشر من ذي الحجة سنة ٢١٢

من ثمانين سنة وأشهر (٨) لعله « الدعوة بالحجة » كما ورد في تفسير أبي السعود المطبوع بهامش تفسير الرازى .

(٩) لعله « ولا فتح » كما جاء في تفسير أبي السعود المذكور .

تحية الاستاذ الاكبر

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم يوم الخميس الثاني والعشرين من المحرم سنة ١٣٩٥ الموافق لليوم السابع والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٤٥ بالتوقيع على أمر ملكي بتعيين حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخاً للأزهر، خلفاً لسلفه الجليل المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغية؛ فقبل هذا التقليد الكريم بموجة من السرور والارتياح عمت البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، فإن الأستاذ النبيل حفظه الله من الأفراد القلائل الذين حصلوا بجهودهم العلمية الموفقة، على شهرة واسعة بمؤلفاته الممتعة، ومحاضراته المغلفة. فإذا صدق على إنسان اضطلع بعمل هو أملاء من غيره له قولهم: «قد أعطى القوس باربعها، والدار بانيها»، فهو أصدق ما ينطبق على إسناد مشيخة الأزهر الجليلة لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق. فإن مهمة حيطة العقائد الدينية في هذا العصر، والمناخ عنها ضسد المذاهب الفلسفية التي تعمل على دحضها، أمر عظيم الشأن جليل الخطر، وفضيلة الأستاذ الأكبر بتضلعه في اللغة الفرنسية، وإحاطته بالحركة الفكرية العالمية، يعرف ذلك أكثر مما يعرفه من لم يقف مواقفه من العلم والفلسفة، ويعرف فوق ذلك من أى نواحي العلم

وهو رأس الفتوح كلها، إذ لا فتح من فتوح الاسلام إلا وهو عنه ومشتق منه. الخامس قال غيره: المراد نصر الله تعالى على أهل مكة أنك تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت. قوله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال ابن عباس: ما تقدم قبل النبوة وما تأخر بعدها. وقال غيره: ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له. وقال سفيان: ما تأخر: هو ما لم يعلمه. وقال آخر: المتقدم والمتأخر معا ما كان قبل النبوة. وقال آخر: تأكيد للعبارة كما تقول: أحبتك من عرفك ومن لم يعرفك. وقال آخر: ما تقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبيك آدم وحواء وما تأخر ذنوب أمتك. وقال آخر: المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه. قوله «وتم نعمته عليك» قيل بالنبوة والحكمة، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر، وقيل بخضوع من استكبر، والصحيح بدخول الجنة. قوله «ويهديك» المراد بثبتك على الهدى كما في قوله «يا أيها النبي اتق الله» (١) «يا أيها الذين آمنوا آمنوا» وأمثال ذلك. قوله «صراطاً مستقيماً» المراد به هنا الاسلام.

وأما من جهة علم التصوف . . . آخر الرسالة

تحية الاستاذ الاكبر

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم يوم الخميس الثاني والعشرين من المحرم سنة ١٣٩٥ الموافق لليوم السابع والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٤٥ بالتوقيع على أمر ملكي بتعيين حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخاً للأزهر، خلفاً لسلفه الجليل المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغية؛ فقبل هذا التقليد الكريم بموجة من السرور والارتياح عمت البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، فإن الأستاذ النبيل حفظه الله من الأفراد القلائل الذين حصلوا بجهودهم العلمية الموفقة، على شهرة واسعة بمؤلفاته الممتعة، ومحاضراته المغلفة. فإذا صدق على إنسان اضطلع بعمل هو أملاء من غيره له قولهم : « قد أعطى القوس باربعها ، والدار بانيتها » ، فهو أصدق ما ينطبق على إسناد مشيخة الأزهر الجليلة لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق . فإن مهمة حيطة العقائد الدينية في هذا العصر ، والمناخ عنها ضسد المذاهب الفلسفية التي تعمل على دحضها ، أمر عظيم الشأن جليل الخطر ، وفضيلة الأستاذ الأكبر بتضلعه في اللغة الفرنسية ، وإحاطته بالحركة الفكرية العالمية ، يعرف ذلك أكثر مما يعرفه من لم يقف مواقفه من العلم والفلسفة ، ويعرف فوق ذلك من أى نواحي العلم

وهو رأس الفتوح كلها ، إذ لا فتح من فتوح الاسلام إلا وهو عنه ومشتق منه . الخامس قال غيره : المراد نصر الله تعالى على أهل مكة أنك تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت . قوله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال ابن عباس : ما تقدم قبل النبوة وما تأخر بعدها . وقال غيره : ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له . وقال سفيان : ما تأخر : هو ما لم يعلمه . وقال آخر : المتقدم والمتأخر معا ما كان قبل النبوة . وقال آخر : تأكيد للعبارة كما تقول : أحببك من عرفك ومن لم يعرفك . وقال آخر : ما تقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبيك آدم وحواء وما تأخر ذنوب أمتك . وقال آخر : المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرتاه . قوله « ويتم نعمته عليك » قيل بالنبوة والحكمة ، وقيل بفتح مكة والطائف وخير ، وقيل بخضوع من استكبر ، والصحيح بدخول الجنة . قوله « ويهديك » المراد يثبتك على الهدى كما في قوله « يا أيها النبي اتق الله » (١) « يا أيها الذين آمنوا آمنوا » وأمثال ذلك . قوله « صراطاً مستقيماً » المراد به هنا الاسلام .

وأما من جهة علم التصوف . . . آخر الرسالة

تسرب الى المسلمين الشبهات على الأديان ، والى أى جهات الضعف من جهتنا تهاجمنا تلك الشبهات وتحترق خطوطنا الدفاعية ؛ ويعلم كنه العناد العلمى الذى يجب أن ندخره لنستطيع الدفاع عن حقائقنا المقررة ، دفاعا ترقيضه العقول المعاصرة ، وتسيغه المعارف الراهنة ؛ والأزهر باعتبار أنه مستحفظ على هذه العقائد ، يجب عليه أن لا يدخر وسعا فى التكميل من هذه الناحية . ومن ذا الذى يسد مكاف فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق فى تولى هذه الخطة الخطيرة ؟

إنى لأنظر الى هذه الحوادث التى توالى فى هذه الآونة وأدت الى تقليد فضيلته مشيخة الأزهر ، فأعجب لهذا الاتفاق ، أستغفر الله بل أعجب من هذا التدبير الإلهى الذى أفضى بنا الى هذه النتيجة فى أشد الأوقات استدعاء للنظر فى أمر بث روح جديدة فى الأزهر تقتضيها كرامته كشابة دنيية ، وتتطلبها مصلحة المسلمين كأمر لا بد منه على عجل .

ونحن فى هذا المقام نتشرف بأن نرفع الى السدة الفاروقية المدسكية شكرنا العظيم على تفضله بتقليد حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرزاق مشيخة الأزهر ، راجين لجلالته دوام التوفيق للأعمال المجيدة ، وحمرا طويلا يؤدي فيه لبساده ماهى فى حاجة إليه من التجديدات الرشيدة .

مركز تحقيق وتطوير علوم مدى

استقبال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

فى الأزهر

كان يوم تبوء فضيلة الأستاذ الأكبر الجديد مكانه من مشيخة الأزهر ، يوما مشهودا لم ير من شهوده ما بلغ شأوه فى التزاحم والتطلع . فقد اكتظ ميدان الأزهر بألوف من الطلبة وغيرهم ينتظرون قدوم فضيلة الأستاذ المرجئ . فلما وصلت العربى التى تقله شق عليه النزول منها لولا عناية عشرات من رجال الشرطة ، ثم احتف به المستقبلون حتى تعذر عليه المشى دقائق كثيرة . ولما وصل الى المصعد لم يكده يدخله لولا معونة الجنود ، ولما صعد لم يستطع أن يغادره إلا بصعوبة شديدة ، وما كاد يصل الى مكتبه إلا بعد مرور عشرين دقيقة . وأكثر ما كان يلفت النظر ذلك الشعور الفياض المتصاعد من صميم أفئدتهم ، ثقة منهم بأن مقدم الأستاذ سيكون فائحة خير وبركة على العلم وأهله وعلى سائر المسلمين .

ولما استقر فضيلته فى مكانه من مكتبه ، احتاط به حضرات أصحاب الفضيلة كبار العلماء ومن دونهم الطلبة ، فى زحام اضطر الموكلون بالنظام لأن يفتحوا النوافذ كلها لامداد

المجتمعين بالهواء . وما هي إلا هنيهة حتى بدأ مندوبو الكليات في إلقاء الخطب الطنانة ، وإنشاد القصائد المطولة ، ضمنوها دعاء لجلالة الملك وتمنئة لفضيلة شيخهم الجديد ، راجين الله أن يبلغ الأزهر ذروة كماله على يديه . دامت الحال على هذا المنوال نحو ثلاث ساعات كان في أثناءها يفد على فضيلته الوزراء والكبراء ، فيكثفون بمصالحته وتمنئته ، وينصرفون . وكانت الحال في اليوم التالي على نحو ما تقدم ، وفي اليوم الثالث والرابع وصلت وفود المعاهد الدينية بالأقاليم ، فتجددت المظاهرات والاحتفالات ، وبقيت الى نحو الساعة الثانية بعد الظهر ، فكانت كل هذه المظاهر الرائعة دلائل ناطقة على ما خامر النفوس من السرور والارتياح بإسناد هذا المنصب الرفيع لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق . ومجلة الأزهر تشاطر هذه الجماهير حبورها العظيم بالاستاذ الأكبر الجديد ، راجية أن يكون مقدمه فاتحة عهد جديد لأقدم جامعة علمية في العالم ، داعية الحق جل وعز أن يوفق حضرة صاحب الجلالة الفاروق لكل عمل مجيد ، وأن يمنحه العمر المديد ، والمعهد السعيد .

ويحسن بنا أن نأتي هنا على نصر السكامة البليغة الحكيمة التي ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر على ألوف من الطلبة وقفوا في ميدان الأزهر ، وهو قائم أمام الميكروفون في شرفة الادارة العامة المطلّة على ذلك الميدان

كلية الاستاذ الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك الفاروق المعظم ، فقلدني مشيخة الجامع الأزهر الشريف ، وحملي بذلك أمانة عظيمة ، أسأل الله أن يعينني على الوفاء بحمها .

والجامع الأزهر الشريف هو قبل كل شيء بيت الله ، فهو خالص لله وحده « وأن المساجد هي لله » ندعوا الله فلا مع الله أحدا .

ثم هو من أعظم مفاخر مصر في تاريخها كله ، فـلـسـكـل مصرى نصيب من مجده ، وعلى كل مصرى حق الاهتمام بشأنه ، والعمل على صلاحه ونهضته .

والأزهر معهد الدراسة الإسلامية الأكبر ، فهو قبلة المسلمين في ثقافتهم الدينية وما يتصل بحياتهم الروحية ، فـلـسـكـل مسلم قبس من ضيائه ، وحظ من ظل لوائه .

ثم إن الأزهر حصن العربية ، صانها من عوادي الدهر يوم كاد الجهل ينقصها من أطرافها ، ومنه أشرفت نهضتها المرجوة ، فللأزهر فضل على العروبة .

عرفت العروبة جميله بما في طبعها من سجية الوفاء . فالى الله جل جلاله أتوجه مخلصا له دينى فى خدمة بيت الله ، والى كل مسلم وكل مصرى وكل عربى تحية طيبة ممن ينهض اليوم بأمر معهدم الجليل ، معتمدا أن يسير به قدما فى سبيل الرقى والاصلاح ، شاعرا بأنه يؤدى بذلك واجب الله ، ويخدم دينه ووطنه وقومه .

وأسأل الله أولا وآخرأ أن يلهمنى الرشد ، وأن يعيننى على تحقيق الأغراض السامية التى أولانى صاحب الجلالة ثقته الغالية فى سبيل تحقيقها ، خدمة للإسلام ، وخدمة للعروبة والوطن العزيز .

ويا أبناء الأزهر الشريف ! حيا الله وجوهكم ، فقد أكرمتم مقدمى تكمريما بالغ الأثر فى نفسى ، وأشهد ما لأحد من أبناء الأزهر عندى إلا الود صادقا ، وحب الخير خالصا ، وسأدفعكم بكلتا يدي فى سبيل الله ، سبيل السكال الدينى والدينوى حتى تعودوا بأذن الله أئمة الخير والحكمة فى هذا العالم المحتاج الى الحكمة والخير ، وحتى يعود الأزهر فى العالم منارة علم ودين وخلق وحب وسلام وحرية .

وما يكون لى إذ أتولى مشيخة الأزهر الشريف بعد المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى إلا أن أطلب إليكم جميعا أن تقرأوا معى فاتحة الكتاب لفسدى ثوابها الى روحه وأرواح شيوخنا السابقين رحمهم الله أجمعين ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم وزحة الله

التفسير

تفسير سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين » .

تسمى المقشقة أى المبرئة من الشرك والنفاق ، وتسمى أيضا سورة العبادة ، وكذا تسمى سورة الاخلاص . وهى عند ابن عباس والجمهور مكية ، وآياتها ست بلا خلاف ، وفيها إعلان ما فهم مما قبلها فى قوله تعالى : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم براءون » ويكفى ذلك فى المناسبة بينهما . أخرج أبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا : « ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الاشرار بالله تعالى ؟ تقرءون « قل يا أيها الكافرون » عند منامكم » . وروى الديلمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المنافق لا يصلى الضحى ولا يقرأ قل يا أيها الكافرون » . ويسن قراءتها مع سورة « قل هو الله أحد » فى ركعتى سنة الفجر التى هى عند الأكثرين أفضل السنن الرواتب ، وكذا فى الركعتين بعد المغرب . وعند المالكية يقتصر على قراءة الفاتحة فى سنة الفجر . وهذه السورة تشتمل على ترك عبادة غيره سبحانه وتعالى ، فصارت بهذا الاعتبار ربع القرآن .

« قل يا أيها الكافرون » : قال أجلة المفسرين : المراد بهم كفرة من قريش مخصوصون قد علم الله أنهم لا يتأتى منهم الايمان أبدا . أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن الأنبارى عن سعيد مولى أبى البختري قال لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فان كان الذى نحن عليه أصح من الذى أنت عليه كنت قد أخذت منه حظا . فأنزل الله تعالى « قل يا أيها الكافرون » الخ .

وفى رواية أن رهطا من عتاة قريش قالوا له صلى الله عليه وسلم : هلم فاتبع ديننا وتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة . فقال عليه الصلاة والسلام : معاذ الله أن أشرك به سبحانه غيره ا فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك . فنزلت . فغدا صلى الله عليه

وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام عليه الصلاة والسلام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا .

ولعل نداهم « بيا » المبالغة في طلب إقبالهم لئلا يفوتهم شيء مما يلقي إليهم ، وبالكافرون دون الذين كفروا لأن الكافر كان دينهم القديم ، أو لأن الخطاب مع الذين يعلم استمرارهم على الكفر فهو كاللازم لهم ، وفي ندائه عليه الصلاة والسلام بذلك في ناديتهم ومكان بسطة أيديهم دليل على عدم اكترائه صلى الله عليه وسلم بهم ، إذ المعنى قل يا محمد للكافرين : يا أيها الكافرون . « لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد » .

يتراءى أن فيه تكرارا للتأكيد ، فالجملتان الثالثة المنفية تؤكد للأولى على وجه أبلغ لاسمية المؤكدة ، والرابعة تؤكد للثانية ، وهو الذي اختاره الطيبي وذهب إليه القراء وقال إن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتهم تكرار الكلام للتأكيد والافهام ، فيقول المجيب : بلى بلى ، والممتنع لا لا ، وعليه قوله تعالى « كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون » . وقول الشاعر :

هـلا سألت جموع كذا مدة يوم ولوا أين أيننا
وهو كثير نظما ونثرا . وفائدة التأكيد هنا قطع أطباع الكفار وتحقيق أنهم باقون على الكفر أبدا .

هذا ، والمعنى : لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلمون فيه ما أطلب من عبادة إلهي ، وما كنت عابدا قط فيما سلف ما عبدتم فيه ، وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته . ونفي عبادتهم في الحال أو الاستقبال معبوده عليه الصلاة والسلام بناء على عدم الاعتداد بعبادتهم لله تعالى مع الاشراك المحبط لها وجعلها هباء منثورا :

إذا صافى صديقك من تعادي فقد عاداك وانقطع الكلام

« لكم دينكم » هو عند الأكثرين تقرير لقوله تعالى « لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد » كما أن قوله تعالى « ولي دين » عندهم تقرير لقوله تعالى « ولا أنتم عابدون ما أعبد » . والمعنى أن دينكم وهو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوز به إلى الحصول إلى كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به أمانيكم الفارغة فأن ذلك من المحالات ، وإن ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوز به إلى الحصول لكم لأن الله تعالى قد ختم على قلوبكم سوء استعدادكم ، أولانكم علقنموه بالمحال الذي هو عبادتي لألهتكم أو استلاني لها . والله أعلم ما

يوسف الدجوي
عضو جماعة كبار العلماء

الشيعة

خير القرون

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ؛ ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » . وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير أمتي قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم — قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة — ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ونخونون ولا يؤثمون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن » . رواها الشيخان .

مركز تحقيق المعنى علوم رضى

ألمنا في الجزء الأول ببعض فضائل الصحابة ، وما امتازوا به رضى الله عنهم ، من درجات لا مطلع فيها لأحد بعدهم ؛ ونلم في هذا الجزء ببعض فضائل التابعين وتابعيهم ، ثم نأتى على أوصاف الخلفاء الذين أبطنهم العمل ، وأسرع بهم الهوى ، حتى بعدت عليهم الشقة فلم يقاربوا من سبقهم ، وإنما كانوا مثلاً سيئاً لمن خلفهم .

افتدى التابعون بهدى الصحابة ، كما افتدى الصحابة بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكان منهم الهداة الراشدون ، والحكماء الربانيون ، الذين ملثوا الدنيا هداية ونورا ، حتى سارت بذكرهم الركبان ، وسجلت ما آثرهم في صفحات الزمان ؛ وكان منهم القادة المحنكون ، والقاتحون المظفرون ، والمجاهدون المخلصون ، ممن أعز الله بهم الاسلام ، وهدى بهم الى دار السلام ؛ وكان منهم أئمة الورع ، وملوك التقى ، ممن ذلت لهم الدنيا بعلمهم عليها ، وعزت بهم الآخرة لاستباقهم فيها ، وتزلف اليهم الخلفاء والأمراء لما استولوا على عروش القلوب وهى أعز مراما وأجل مقاما ، من عروش الخلافة ومقاعد الملك ؛ وكان منهم من يقتل في سبيل الله ولسان حاله يقول :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك في ذات الاله وإن يشأ ببارك على أوصال شلو ممزق (١)

ثم استار أتباع التابعين بسيرة من قبلهم ، في العلم والعمل ، والورع والتقوى ، والنصيحة لله ولكتابه ورسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ؛ الى أن ظهرت في حدود العشرين ومائتين بعد انقضاء القرن الثالث ، ضروب من البدع والضلالات لم تكن من قبل (٢) فأطلقت المعتزلة ألسنتهم ، ورفعت الفلاسفة رءوسهم ، وامتنحن العلماء والأئمة بفتنة خلق القرآن ، والخلاف في المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، والجدل في الاغلوطات (٣) التي لا يجنى المسلمون من ورائها إلا بلاء وشرا ! فاذا كانوا في نقص من أمرهم ، وضعف من بنائهم ، فما فتحوا للعدو من ثغور دخل عليهم منها ، فلم يستطيعوا له منعا ، ولم يملكوا لعدوانه دفعا ! وإذا كان صلاح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها ، فلا منجاة لها من ورطتها إلا برجوعها الى كتاب ربها ، واقتدائها بهدى نبيها ، واستمسكها بسيرة الراشدين من أسلافها .

ونحن لا نذكر أن أحدانا حدثت في عهد سلفنا الصالح قد يكون لها آثارها الى وقتنا هذا ، ولا نستطيع أن نعالط في حقائق التاريخ الناصعة ، ولكننا نقول إنها كانت ضيقة محدودة ، وإنما أبعد شقتها وأوسع رقعتها أعداء الاسلام ، والدخلاء فيه ، ممن يكيدون له كيذا ، فكان حقا محتوما على الخلف أن يستيقظوا لهذه الأحداث وينتقموا بعبورها ، فلا يتورطوا في أمثالها وهم ينقمونها من أسلافهم ، ولا يتشدقوا بزخرف القول وزوره وهم من الحسير هواء . وأوصاف هؤلاء المغرورين كثيرة جاء منها في حديث عمران رضى الله عنه أربعة تكاد تكون جماع المآثم ، وعنوان المخازى في الدنيا والآخرة .

فهم حراس على الشهادة وترويحها بالحق وبالباطل ، لا يعينهم أن يقيموا الشهادة لله بالقسط ، ولكن يعينهم اللفظ والضحيج وإشاعة المثالب والعيوب في الناس ، مستعينين على ذلك بأيمان محرجة ، تقدم شهادتهم تارة وتعتقها تارة أخرى . ولو أنهم استأنوا حتى يتراضى الخصمان ، أو يزول الشنآن ، أو يطلب اليهم أداء الشهادة فيأتوا بها على وجهها ، لكان خيرا لهم وأشد تنبيها . وليس هؤلاء ممن عناهم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : « ألا أخبركم بخير الشهداء ؟ الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها » رواه مسلم عن زيد بن خالد الجهني ،

(١) الأوصال جمع وصل وهو العضو ، والشلو بالكسر الجسد ، والبيتان لحبيب بن عدى رضى الله عنه قالما لما أجمع المشركون قتله في غزوة الرجيع بعد أن صلى ركعتين ، فكان أول من سن الصلاة عند القتل .

(٢) حقق صاحب النتج أن بين البشة وآخر الصحابة موتا ، وهو أبو الطفيل ، مائة سنة ونيف ، وأن قرن التابعين بين السبعين والتمانين ، وقرن تابعي التابعين نحو من عشرين ، وأن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من طائفة في حدود العشرين بعد المائتين (٣) الاغلوطة ما يفلط به من السائل .

فأكبر العلم أنه يريد شهداء الحسية ، الذين يقيمون الحقوق العامة ، أو يقصدون مخلصين الى إزالة المنكرات الشائعة ، أو يشهدون مثبتتين في حق جهله صاحبه ، أو كاد خصمه يغلبه عليه لأنه ألحن منه بحجته . وأين من يحكي حقا من ينصر باطلا ، ومن يدرا فتنة من يضرم نارا ؟
ومم خونة معرقون في الخيانة ؛ وتلك عمدة المنافقين «الذين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم» وقد فضحهم الله في الدنيا ، فترزع من القلوب الثقة بهم ، ومن النفوس الاطمئنان اليهم ! وكفاهم بذلك في الدنيا خزيا «ولعذاب الآخرة أخزى» .

ثم هم غدره نا كئون ، ينذرون الله ولا يوفون ، ويقولون ما لا يفعلون ؛ وهذه وليدة نفاقهم ، ورغبة خيانتهم ، وقد كانوا في حل من هذا النذر لولم يلزموه أنفسهم ويعاهدوا الله عليه ؛ ومن كذب على الله فهو على الناس أكذب ، ومن غدر بعهد الله فهو بعهد عباده أغدر .
ومم منهمون لا يشبعون ، أهمتهم بطونهم فشغلهم عما خلقوا له ، وألهمتهم عن مطالب الروح من معالي الخلال وجلائل الأعمال ، إلى ماله وطاب ، من ألوان الطعام والشراب ، حتى انتفخت أو داجهم ، وثقلت أجسامهم ، فلا تخف لخير ولا تنشط في هدى ، وكيف ، والبطنة تذهب المظنة ، وما ملاء ابن آدم وعاء شرا من بطنه ؟

وفي قول عمران رضى الله عنه : «فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة» دليل على تحمري الصحابة والتابعين فيما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحرصهم على الأمانة والحقيقة ، حتى ليروون اللفظة بصيغة الشك إن لم يستيقنوها ، تبرؤا من شبهة التحريف في كلام من لا ينطق عن الهوى . وقد جاء عن النعمان عند أحمد ، وعن عائشة عند مسلم ، بغير شك .

أما بعد ، فإذا كان لا يأتي يوم إلا والذي بعده شر منه ، كما ثبت في الصحيح ، فإذا ينظر المفرطون في جنب الله ، أو القانطون من رحمة الله ؟ «فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها» .

وماذا عليهم لو اهتدوا بهدى نبيهم ، واتبعوا احسن ما أنزل إليهم من ربهم ، وانتظموا في سلك الطائفة التي بشر النبي صلى الله عليه وسلم بأنها لا تزال ظاهرة على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله (١)

وإذا كان التاريخ يعيد نفسه كما يقول علماء الاجتماع ، فلا يضيرهم كما لم يضر من قبلهم أن يكونوا في الناس غرباء ، ما كانوا لله ورسوله أو ليا ، فقد بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا ، فطوبى للغرباء

طه محمد الساكت — المدرس بالأزهر

المشكلة الفلسفية العظمى

التأليه العقلي

- ٢٠ -

المظهر الفلسفي لفكرة الألوهية

ب - الإدراكات الوسطى والحديثة

٢ - متابعة البحث في وحدة الوجود

براهين وجود الإله عند الوحيين :

يلاحظ الباحثون المعنيون بتاريخ الفكر البشري أن براهين وجود الإله لدى أشياخ مبدأ وحدة الوجود أكثر بساطة وأشد إيجازاً منها لدى أنصار مذاهب الانفصالية ، لأن الأمر لم يمد يده يتعلق بالتدليل على وجود موجود مجرد كامل التجرد أسمى من العالم وليس بينهما من صلات سوى علائق المدير بالمدير ، وإنما هو يرمى إلى إثبات وجود مبدأ الوحدة المطلقة التي بها الشكون وهي قارة فيه تدبره وتقدر مصيره .

ومهما يكن من الأمر فإن أكثر زعماء مبدأ وحدة الوجود قد عنوا على الأخص بالبرهانين التجردى والطبيعى واعتبروها أساساً جوهرياً لتدليلاتهم . ولهذا لا نرى بدا من مسابرتهم في هذه السبيل مادامنا الآن بصدد تعقب منتجاتهم بالإيضاح والنقد والتعاليق ، وإليك البيان :

(١) البرهان التجردى :

عند اسبينوزا :

يعد اسبينوزا من بين أشياخ وحدة الوجود لمحدثين أبرز الذين لجأوا إلى البرهان التجردى ، وقد صاغه صياغة خاصة يمكن أن نترجمها في العبارات الآتية : « إذا كانت المقدره على الوجود المستغنى قوة ذاتية في الوجود لزم أن يكون في هذا الوجود من قوة ذاتية بقدر ما في طبيعة وجوده من تحقق فعلى ، وهكذا يكون الوجود اللامتناهى المطلق وهو الإله ، له من ذاته قوة على الوجود المستغنى غير متناهية بالاطلاق كذلك ، وهذا يقتضى أن يكون موجوداً بذاته وجوداً حقيقياً مطلقاً . »

عند هيغيل :

ينبغي أن نلاحظ بدياً أن طبيعة ما امتاز به هيغيل في هذا الموقف هو رده على « كانت »

في نقده البرهان التجردى ، ونحن نحسب أنك لا تزال تذكر ما أثبتناه في أحد هذه الفصول - حين عرضنا لتدليل الإلهيين الانفصاليين - من أن « كانت » قد وجه الى هذا البرهان مثالب لاذعة ، فرماه بالخلط بين الوجود العقلى والوجود الفعلى ، وزعم أنه لم يثبت إلا الأول دون الثانى ، ومثل لذلك بأن ألف قطعة من العملة فى الذهن ليست هى عينها فى الواقع ولا يقتضى وجود الأولى وجود الثانية ، ولا يحقق مالها من نتائج وآثار ، فانبرى له هيجيل وجمل بهاجمه فى عنف مقرر أن تمثيله هذا مسف منهافت لا تستسيغه إلا العقليات الساذجة ، ثم أردف حكمه هذا بقوله : « إن هذه الملاحظة العامية من النقد السكائى - وهى أن وجود الكائن وماهيته شيئان متمايزان - يمكن أن تمز العقل ونحدث فيه اضطرابا ولكنها لن تقوى أبدا على أن تقف تلك الحركة التى بمقتضاها يصدر العقل عن فكرة الإله متجها الى غاية الايقان بوجوده الفعلى ، ولا جرم أن هذا الاتجاه الذى يسلكه الفكر عن طريق تلك الحركة هو وحده الاتجاه المستقيم ، إذ أنه فى جانب الإله وحده تكون الفكرة والوجود والماهية عين الموجود ، وهذه الوحدة بين الوجود والموجود هى الذات الالهية .

(ب) البرهان الطبيعى :

عند اسبينوزا وهيجيل :

كما صاغ اسبينوزا البرهان التجردى صياغة خاصة قد صاغ أيضا البرهان الطبيعى صادرا فى هذه الصياغة عن ذات الأساس الذى أثباتك آنفا أنه مسلم عنده فقال : « إذا كانت المقدرة على الوجود قوة ذاتية فى الموجود ، وإذا كان ما يوجد الآن على سبيل وجوب الوجود (وكل كائن عنده فيه شئ من وجوب الوجود) ليس إلا كائنات متناهية لزم أن تكون الكائنات المتناهية أشد قوة من الكائن اللامتناهى المطلق الذى نفرض أنه موجود ، ولما كان ذلك غير قابل للمعقولية ، فقد تحتم أحد أمرين ، وهما : إما أنه لا يوجد شئ أثبتة على سبيل وجوب الوجود ، وإما أنه يوجد كائن لامتناهى مطلق فى اللانهاية واجب الوجود ، ولما كان الأول باطلا لاستحالة أن تكون كل الموجودات من غير استثناء ممكنة لما يترتب على ذلك من استحالة وجودها الذى يفتقر الى موجود فعلى خارج عن دائرة الامكان لتسييرها من القوة الى الفعل ، ونقلها من الامكان المحض الى الوجود الحقيقى ، فلم يبق إذا إلا الأمر الثانى .

أما هيجيل فيمكن أن نجمل تجديده الذى استحدثه فى هذا البرهان فأضافه الى منتجات أسلافه فى أنه دافع عن طريقة الصعود من المحس الى المعقول ورد عنها تلك المهاجمات العنيفة التى سددها اليها خصومها ، إذ أعلنوا أن الأدنى لا يصلح لأن يتخذ شاهدا على وجود الأعلى ، فأجابهم هيجيل بقوله : إن البرهان الطبيعى هو أحد المناهج التى تنير للعقل سبل الصعود بأفكاره فى سلسلة الموجودات المتراسة المتناسكة من العالم المحس المتناهى الى فكرة اللامتناهى .

معضلات ناشئة عن الوحدية :

سجل تاريخ الفكر عدداً غير قليل من المعضلات نبقت وترعرعت حول مبدأ وحدة الوجود ، وقد أردنا أن نشير هنا الى أهمها وأجدرها بالعناية والنظر فيما يلي :

(١) تهمة الإلحاد — وقد استنبطها خصوم هذا المبدأ من أساسه الجوهري ، وهو وحدة الإله مع أجزاء الطبيعة إلى حد يحيل القيام بالذات أو الاستقلال عن هذه الأجزاء في رأى فريق من الوحيديين ، ويجعله ممكناً منطقياً لحسب ولكنه لا يقع ألبتة في نظر فريق آخر منهم ، ولا ريب أن في هذا تقديساً للطبيعة وشبه جحود للالهية ، أو قل إنه جحود محجب يبدو في صورة التأليه . ويرى بعض الناقدين الادعاء أن هذه التهمة خاطئة من أساسها ، إذ أن هذا التعليل — على هذه الصورة العامة — هو من إلقاء الكلام على عواهنه ، لأن مذهب اسپينوزا مثلاً ، وهو من أعيان الوحيديين المحدثين ، ينعطف إلى ملاشاة الطبيعة في الالهية إلى حد حمل هيجيل على أن يقول : إن مذهب اسپينوزا جحود للطبيعة « Acosmisme » أى على عكس ما رمى به الوحيديون من جحود الالهية وإفنائها في الطبيعة . ومن آيات تبرئتهم من هذه التهمة أيضاً ما يقوله دونان في كتابه « محاولات في الفلسفة العامة » وهو : « ان الوحيديين فيما نرى قد اتخذوا في الأوصاف الحقيقية للطبيعة الإلهية ، ولكن ذلك لا يحول بيننا وبين الجزم بأنهم يقرون بالإله إقراراً حقيقياً ، بل يمكن أن يقال إنهم يغالون في ذلك مغالاة تزيد على المؤلف ما داموا يرون أنه هو السبب المباشر لكل ما يحدث في العالم من غير استثناء . وقد أخذ عليهم هذا وجعل من أخطائهم الأساسية أنهم بهذه الجبرية قد أفرطوا في القول بمحو الافراد أمام الإله . »

(٢) نبذ فكرة الخلق — على أنه اذا أمكنت تبرئة أشياع وحدة الوجود من تهمة الإلحاد ، وهذا حق ، فإنه من غير الممكن أن يبرءوا من نبذ فكرة الخلق ، إذ هم يصرحون بهذا النبذ في جميع أجزاء مبدعهم ، بل إنه دعائمه الأساسية ما دام أن أصل مذهبهم هو الانبثاق أو الصدور أو الفيض ، لأن الخلق من عدم يقتضى بالضرورة أجنبية الخالق عن المخلوق ، وبالتالي يقتضى تعدد الوجود ، وهم يقولون بالوحدة المطلقة . فلو أقرروا بالخلق لتناقضوا مع أنفسهم . ولسنا ندرى — كما يلاحظ الأستاذ ديلبوس — كيف استساغ الوحيديون أن الجوهر الالهى اللامتناهى — بدل أن يحوى في ذاته كل قوته المنتجة — هو يبرزها وينشرها في طائفة من الكائنات الشخصية ؟

(يتبع)

الركنور محمد مغرب

أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

حياة خالد بن الوليد

خالد بن الوليد

— ٢٤ —

دولة الفرس بعد الحرب :

كان هرمز القائد الفارسي قد كتب الى أردشير ملك الفرس يخبر الجيوش الاسلامية تحت قيادة القائد المظفر خالد بن الوليد رضى الله عنه ، قبل أن يتمجّل لقاءهم ويستمدّه فأمدّه أردشير بجيش يعدل جيشه تحت قيادة « قارن بن قرياقس » أحد أبطال الفرس وقرن هرمز في تمام الشرف عندهم ، ولما قتل هرمز وانهزم جيشه لا يلوى على شيء التقى فلهم بجيش قارن في مكان بين واسط والبصرة يقال له « المذار » فتمذاصروا وقال بعضهم لبعض : إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً ، فاجتمعوا على تعبئة واحدة ، وبلغ خبر اجتماعهم خالد رضى الله عنه ، فتلقاهم على تعبئته ، واقتتلوا على حنق وحفيظة ، وبرز قارن قائد الفرس يدعو للمبارزة ، فانتهض إليه بطل الاسلام خالد ، ولكن بطلا آخر من المسلمين كان أسرع إليه ، ذلك هو أبيض الركبان معقل بن الأعشى ، فابندره وقضى عليه ، ثم ولت جيوش الفرس الأدبار بعد مقتلة عظيمة كانت للمسلمين فيهم ، يقدر بعض المؤرخين عدد القتلى بثلاثين ألفاً سوى من غرق .

كبر على الفرس تلاحق الهزائم بجيوشهم وقتل أشجع أبطالهم على أيدي هؤلاء العرب الذين كانوا لا يجرؤون قبل اليوم على مواجهتهم ، فأرسلوا إليهم جيشاً كثيفاً العدد قوى العدد بقيادة بطل من أبطالهم يدعى « الأندرزغر » ثم أمدوه بجيش آخر عليه « بهمن جاذويه » واجتمع الجبهتان بمكان يقال له « الوجلة » ، وأعجب قائد الفرس ما رأى من كثرة عدد جنده وتمام عدتهم ، وبلغ خالد رضى الله عنه تجمعهم فنهض لهم وخلف سويد بن مقرن ليحمي ظهره ، وقسم جيشه ثلاث فرق ، سار على رأس فرقة منها لملاقاة العدو ، وجعل من فرقتين كينا بقيادة بسر بن أبي رهم ، وسعيد بن مرة ، وهذه خطة حربية ماهرة تبين حذق خالد ودهاءه في إدارة دفة الوقائع وملاقاة الأعداء مهما تكاثف عددهم .

التقى الجمعان ، واستمرت نار الحرب بينهم ، وطال الأمر وعظم على الفريقين الخطب حتى نفذ الصبر وإذا بالكين الخالدي يفاجئ العدو فيكتنفهم من جوانبهم ، وخالد يأخذهم من بين أيديهم ، فانهزم الفرس هزيمة ماحقة ومضى قائدهم « الأندرزغر » على وجهه من الرعب حتى مات عطشاً ، ثم قام خالد رضى الله عنه في المسلمين خطيباً يرغبهم في فتح بلاد المعجم فقال :

« ألا ترون الى الطعام كرفع التراب ، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء الى الله عز وجل ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن تقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولى الجوع والافلال من تولاه ممن اناقل عما أتم عليه . » وهذه كلمة جليلة الخطر عظيمة الأثر ، تصور ما أوتى هذا القائد العبقري من حكمة وعرفان بحاجات النفوس ووسائل الدعوة الى الجهاد والترغيب في الفتح ، فهو يصور لجنده الحياة الناعمة والرفه الذي يتقلب فيه هؤلاء الأعداء ، وإلى جانب ذلك يلفت نظرهم الى ما هم فيه من بؤس الحياة والحرمات ، وهو تقديم بديع يعد به النفوس جميعا الى اقتحام هذه الرغائب ، سواء في ذلك المؤمن الصادق ، والمؤمن الطموح في نعيم هذه الحياة ، ثم يقف على ذلك بالاشارة الى أن هذا واجب لله تعالى في سبيل نشر دينه والدعوة اليه ، ثم هو لا ينسى جانب المعالبة والتمناص في سعة العيش فيلفت نظر جنده الى من تخلف عنهم متثاقلا عن الجهاد ، وفوزهم دونه بهذا الخير العظيم .

كان جيش « الأندرزغر » قد جمع الى جند فارس عرب الضاحية ، ونصارى بكر وائل ، وقد أصيب هؤلاء بمثل ما أصيب به أولئك من القتل والهزيمة ، وكان فيمن قتل من قتلى نصارى العرب ابن الجابر بن بجير ، وابن لعبد الأسود العجلي ، وهما رأسان من رؤوس العرب المنتصرة الذين ارتضوا ظالمين أن يكونوا مع أهل فارس على بنى أبيهم ، فغضب معهم من كان على شاكلتهم من قومهم ، وكاتبوا الفرس أن يكونوا معهم يدا واحدة على المسلمين ، وقاد هؤلاء العرب عبد الأسود العجلي ، وقاد الفرس « بهمن جاذويه » الذي أناب عنه قائدا آخر هو جابان ، ورجع بهمن الى أردشير يحدد به عهدا ويشاوره ، وقدم جابان بفرسه على حلفائهم فاجتمع عليه منهم نصارى عجل وثيم اللات ، وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ، وكان أمر هؤلاء العرب قد بلغ خالد بن الوليد فنهض اليهم على غير علم منه بقدوم جابان بفرسه ، وقد كانوا عسكروا بمكان يقال له « أليس » فلما طلع عليهم خالد بجيوشه التي كان أعدها لأولئك العرب حلفاء الفرس ، وكان هؤلاء الفرس نظروا الى عتيه جيش خالد فاستقلوها ولم يعلموا أن كل رجل منهم جيش بنفسه ، فقالوا لقائدهم : « أنما جلهم أم نفدتى الناس ، ولا نزيهم أنا نحفل بهم ، ثم نقاتلهم بعد الفراغ ؟ » وهذا كلام الكثرة المغرورة الجوفاء ، فقال قائدهم وهو يكظم غيظه وقد جاءت البوادر بطلائع الفشل : « إن تركوكم والتهاون بهم فتهاونوا ، ولكن ظنى أن سيمجلونكم ويعاجلونكم عن الطعام » فمعهه ، وبسطوا البسط ، ووضعوا الاطعمة ، وتداعوا إليها فوافروها ، وإذا عصى الجند قائدهم فذلك نذير الفشل والهزيمة الساحقة .

أمر خالد رضى الله عنه بالتزول في وجه الفرس ، ثم توجه اليهم بنفسه ، وطلب مبارزة قادة العرب ممن انضم الى الفرس ، فنادى باسم عبد الأسود العجلي ، ومالك بن قيس ، وابن أبيجر ، فبرز اليه مالك ، فقال له خالد : يا ابن الخبيثة ما جرأك على من بينهم ، وليس فيك

وفاء ؟ فأهوى اليه خالد بضربة كانت فيها نفسه ، ثم كر على أهل فارس فأعجلهم عن طعامهم ، فلم ينالوا منه شيئا ، فقال لهم قائدهم جابان يعتب عليهم مخالفتهم له ويذكرهم بمقاتلته الناصحة ويربهم مغبة عصيانهم وغرورهم : ألم أقل لكم يا قوم ؟ أما والله ما دخلتني من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم . فقالوا متجلدين : ندع الطعام حتى نفرغ منهم ونعود اليه ؛ وهذا إيمان في الفرور بالكثرة العددية التي كانت للفارس بما لا يصح أن يعقد معه نسبة في التكافؤ بين الجيشين .

ولما رأى جابان قائدهم مام عليهم من غرور وفشل دعاهم الى مكيدة فأبوها عليه قال لهم : مموا الطعام ، فإن كانت لكم فاهون هالك ، وإن كانت لهم هلكوا بأكله ، فمضوه مرة أخرى ، ولم يفعلوا ما أمرهم به ، والنعم الجيشان ، واقتتلوا قتالا شديدا ، وزاد في كلب أهل الشرك على القتال ، وقوى حماسهم ما كانوا يرتقبونه من قدوم قائدهم الأول « بهمن جاذويه » وارتفعت روح المسلمين في القتال وباعوا أنفسهم لله تعالى ، واشتد حنقهم على الفرس وأخلافهم من منتصرة العرب حتى نذر خالد أن يجري نهرهم بدمائهم فقال : اللهم إن لك على إن منحتنا أكتافهم ألا استبقى منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم ! » وحقت الهزيمة على المشركين فولوا الأدبار ، وتبعهم المسلمون يأخذونهم بسيوفهم ، فأرسل خالد من ينادى بالناس : الأسر ، الأسر ، فجاءت بهم الخيل اليه تسوقهم سوقا ، وأمر بضرب أعناقهم حتى غلبت دماؤهم ماء النهر ، فسمى من يومئذ نهر الدم ، وكانت هذه الموقعة أشد ما لقي خالد بن الوليد في قتال الفرس ، وفي ذلك يقول رضى الله عنه « ما لقيت قوما كقوم لقيتهم من أهل فارس وما لقيت من أهل فارس قوما كآهل أليس » .

وقد قسم خالد رضى الله عنه الغنائم بين الجيش وعزل الخس للامام ، ونقل الجند الطعام الذى كان المشركون قد أعدوه لأنفسهم فأعجلهم خالد عنه ولم يهنأوا به ، فلما جالس اليه المسلمون — وكانوا حديثي عهد بالترف ورقيق العيش — ورأوا ما فيه من الرقاق قال بعضهم من التعجب ما هذه الرقاق البيض ؟ فقبل له : هل سمعت برقيق العيش ؟ هو هذا ، فسموه الرقاق .

انتهى خالد رضى الله عنه الى هذا النصر المبين في هذه المواقع ، فلم يشأ أن يقف بنشوة الظفر التي نمل بها جنده عند هذا الحسد ، بل اندفع بجيوشه الى الامام حتى بلغ « أمغيشيا » وهي مصر كالخيرة ، وكانت أليس من مسالحها نخشى خالد أن يكون للفارس وحلفائهم جوع بها فأراد القضاء على مظان المقاومة ، ولم يكد خالد يطأ بجيوشه أمغيشيا حتى جلا أهلها عنها وتفرقوا في السواد ، وتركوا كل شيء من الأموال والأثاث وعناد الحرب ، فعظمت غنيمة المسلمين حتى بلغ سهم الفارس خمسمائة وألف درهم ، سوى الانتقال ، وأرسل خالد بالبشرى

والخمس الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ففرح بنصر الله للمؤمنين فرحا شديدا ، وخطب الناس مشيدا بمكانة خالد رضى الله عنه ، فكان مما قاله « يا معشر قريش ! عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله (لحمه المقطع) أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد » وهذا القول من أبى بكر — وكان أعلم بالرجال — أعظم شهادة وأجل تقدير يناله رجل فى تاريخ الاسلام ، فالصديق وهو خليفة المسلمين الأعظم لا يرى لخالد رضى الله عنه فى الناس عدلا فى عبقريته وشجاعته وبطولته ومهارته ، وقد سجل شعراء المسلمين هذا النصر فى كثير من أشعارهم فقال الأسود بن قطبة :

لقينا يوم أليس وأمنى وبوم المقر آساد النهار
فلم أر مثلها فضلات حرب أشد على الجحاجة الكبار
قتلنا منهم سبعين ألفا بقية حربهم نجب الأسار
سوى من ليس بحصى من قنبل ومن قد قال جولان الغبار

صادر ابراهيم عرمون



أقوال لبعض الأعلام

قال ابن الحواري : قلت لسفيان : بلغنى فى قول الله تبارك وتعالى : « إلا من أتى الله بقلب سليم » ، الذى يأتى ربه وليس فيه غيره . فبكى سفيان وقال : ما سمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا التفسير .

وقال الحسن البصرى تاج المحدثين : عجبا لمن خاف العتق ولم يكف ، ولما رجا النواب ولم يعمل .

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب لرجل : ما تصنع ؟ فقال الرجل : أرجو وأخاف . فقال الامام : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف شيئا هرب منه .

وقال الفضيل بن عياض : إني لأستحي من الله أن أقول توكلت على الله ولو توكلت عليه حق التوكل ما خفت ولا رجوت غيره .

وقال حكيم : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء . وقال شاعر :

انى لأرجو الله حتى كأننى أرى بمجميل الظن ما الله صانع

بحث في مقارنة القوانين الوضعية

بالشرائع الإسلامية

أحكام الخطبة في الشرائع الحديثة

الخطبة في القانون الفرنسي :

سكت القانون الفرنسي عن أحكام الخطبة قاصداً بذلك القضاء على كل شبهة يشتم منها راتحة إلزام أو حد من حرية الطرفين ، واعتبر تقييد حرية الطرفين أمراً مخالفاً للنظام العام ، وكل شرط يحد من هذه الحرية باطل ، فلكل من الطرفين الحق في العدول عن الخطبة وعن إتمام الزواج .

الخطبة في القانون السوفييتي :

جعل القانون السوفييتي حكم عقد الزواج كبقية أحكام العقود الأخرى ، فلذا لم يمر الخطبة اهتماماً .

الخطبة في التشريعات الحديثة الأخرى :

نعت التشريعات الحديثة الأخرى على أحكام للخطبة مع تقرير حرية الزواج ، فالوعد بالزواج لا يترتب عليه التزام بإتمام الزواج ، وكل شرط جزائي باطل ، غير أن هذه الحرية لا تمنع من اعتبار الخطبة عقداً له آثار أخرى ، فالقانون الإيطالي مثلاً يقضى مع شروط خاصة بالزام الناكّل بالتعويض ، ومثله القانون الألماني والقانون التركي والقانون الصيني .

الخطبة في القضاء الانجليزي :

بما أنه ليس للانجليز قانون مدون كبقية الشعوب الأخرى فإن المحاكم الانجليزية إنما تحكم في المنازعات طبقاً للعرف والعدالة ، والقضاء الانجليزي في أحكامه يقرر أن الخطبة عقد لكنه مجرد من حق رفع دعوى الإلزام بالزواج ، ومع ذلك فإنه يقضى بالتعويض على الناكّل بشروط خاصة .

الخطبة وأحكام المحاكم بشأن فسخها

وما يترتب على ذلك من تعويض وغيره

قد ينشأ عن الوعد بالزواج أمور لولا الارتكان على إتمام الزواج ما حصلت إذ قد

يعدل أحد الطرفين عن الزواج فيحصل ضرر لمن لم يعدل، فهل لمن لم يعدل الحق في مطالبة النا كل بتعويض هذا الضرر؟ تلك هي المسألة الهامة في هذا الموضوع.

القضاء الفرنسي :

يقضى بالتعويض إذا كان العدول بغير مبرر وتترتب على ذلك ضرر نشأ من فعل النا كل أصاب الذي لم يعدل، فيكون فعل النا كل هو سبب الضرر، أدبيا كان الضرر أو ماديا، وأساس المسؤولية يكون حينئذ هو وقوع فعل ضار تطبق عليه أحكام وقواعد المسؤولية العامة الناشئة عن فعل ضار. لكن ما جرت عليه أحكام هذه المحاكم من اعتبار أن أساس المسؤولية هو فعل ضار لا يخلو من نقد بعض رجال القانون، فقد علق بعضهم على هذه الأحكام قائلا بأن التعويض يجب أن يكون أساسه هو المسؤولية التعاقدية، وقال آخرون بأنه أساسه هو سوء استعمال الحق.

الخطبة وأحكام المحاكم المصرية

المحاكم المختلطة :

قررت حرية الزواج، وكل شرط يحدد من هذه الحرية باطل لا قيمة له، ولا تعتبر الخطبة عقدا قانونيا منتهجا لا التزام إنعام الزواج، وحينئذ فلا مسؤولية تعاقدية، وتحكم فقط بالتعويض إذا وقع ضرر من جانب النا كل بسبب خطأ وقع منه مستقل عن فسخ الخطبة فتكون المسؤولية حينئذ ناشئة عن فعل ضار يشبه الجفحة المدنية، ويستنتج من ذلك أن أحكام المحاكم المختلطة تتفق مع أحكام المحاكم الفرنسية، وبهذا المعنى تكون هذه المسألة ليست من مسائل الأحوال الشخصية.

المحاكم الأهلية :

تتفق أحكامها مع أحكام المحاكم المختلطة في إقرار حرية الزواج المطلقة، وأن الحد من هذه الحرية يكون مخالفا للنظام العام، كما أن كل شرط يقيد بها يكون باطلا. ولم تعرض هذه المسألة أمام المحاكم الأهلية إلا بخصوص استرداد المهر والهدايا بخلاف ما عرضت به أمام المحاكم الأوروبية أو المحاكم المختلطة، فإن أغلب الأحوال التي عرضت بها أمام هذه المحاكم (الأوربية والمختلطة) كانت بسبب حصول الاتصال بين الخطاطب ومخطوبته، وهذا أمر يخالف ديننا وتقاليدها لأن الاتصال قبل عقد الزواج محرم بتاتا عندنا.

أما استرداد المهر والهدايا فقد عرضت هذه المسألة أمام المحاكم الأهلية بوجهين من حيث الاختصاص ومن حيث تطبيق القانون للواجب تطبيقه.

أحكام الخطبة في الشريعة الإسلامية الغراء

قلنا إن الخطبة هي طلب الرجل المرأة للزواج ، والمنصوص عليه في مذهب الحنفية ، وهو الجاري عليه العمل أمام المحاكم الشرعية ، أنه يجوز خطبة المرأة الخالية عن نكاح وعدة ، فتحرم خطبة الممتدة تصرحاً ، سواء كانت معتدة طلاق رجعي أو بائن أو وفاة ، ويصح إظهار الرغبة تعريضاً لمعتدة الوفاة دون غيرها من المعتقدات ، ولا يجوز العقد على واحدة منهن قبل انقضاء عدتها ، ويستنتج من هذا أن الخطبة لا تجوز إلا للمرأة التي يحل تزوجها .

آثار الخطبة :

يجوز للخطيب أن يبصر المخطوبة وينظر إلى وجهها وكفيها ، ولكل من الخطيب والمخطوبة العدول عن الخطبة ، لأن الخطبة وعد بالنكاح مستقبلاً ، والوعد بالزواج مستقبلاً وكذلك مجرد قراءة الفاتحة بدون إجراء عقد شرعي بإيجاب وقبول لا يكون كل منهما نكاحاً حتى ولو دفع المهر كله أو بعضه أو قدمت هدايا من الخطيب إلى المخطوبة ، ولكن العدول مكروه إذا كان لغير غرض مشروع لأن فيه عدم وفاء .

ويؤخذ من مذهب الإمام مالك أنه تحرم خطبة الراكنة لغير فاسق إن كانت ثيباً رشيدة أو وليها إن كانت بخلاف ذلك ، والعبرة في التحريم هو الركون والرضا من جانب المرأة أو من جانب وليها ، وقال بعضهم لا بد في اعتبار الركون من تقدير الصداق ، ونصوا على أنه إذا عقد الثاني فسخ عقده إذا كان العقد قبل الدخول ويكون طلاقاً بائناً .

آثار فسخ الخطبة :

إذا عدل الخطيب عن خطبته أو ردت المخطوبة خاطبها فإيرد المهر بعينه إن كان قائماً أو يرد مثله أو قيمته إن كان غير قائم ، وأما الهدايا فالتقائم منها كالخلى يرد إلى مهبه ، وأما غير التقائم كالطعام والفاكهة فلا يرد بدله شيء ، لأن الهدية هبة وهلاك الموهوب من موانع الرجوع فيها . هذا مذهب الحنفية الجاري به العمل . وأما مذهب المالكية فيرد المهر ، وأن الهدايا ترد حتى ولو كان الرجوع من جهة المخطوبة إلا لعرف أو شرط ، وقيل إن كان الرجوع من جهتها فللخطيب الرجوع عليها لأنه في نظير شيء لم يتم . واستظهر هذا التفصيل الشمس اللقاني .

وينضح من هذا كله أن الخطبة على مذهب الإمام أبي حنيفة غير ملزمة ، فلكل من الطرفين العدول عن الخطبة .

وهذه النتيجة التي أتت بها الشريعة الغراء منذ قرون عديدة قد قبلتها القوانين الوضعية بعد تخبطها بين الالتزام وعدمه حتى ظهرت لها الحقيقة تحت تأثير الظروف والحوادث والتقدم

الفكرى والفلسفى ، فالتمت مرغمة أن تقبل ما جاءت به الشريعة الإسلامية ، وبذا يتضح بكل جلاء فضل الشريعة الإسلامية وأنها النهاية التى سيصل إليها العقل البشرى ، وسيرغم على قبولها بسبب تأثير الظروف والتطورات كل من تحدثه نفسه بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية لتطبيقها على الزمان والمكان .

بقيت مسألة سبقت الإشارة إليها وهى المسؤولية الناتجة عما لو عدل أحد الطرفين عن إتمام عقد الزواج وترتب على هذا العدول ضرر للذى لم يعدل ، فهل لهذا الأخير مطالبة النا كل بتعويض الضرر الذى لحقه من جراء العدول ؟

القضاء المختلط :

رأينا فيما سبق أن المحاكم المختلطة تقضى بالتعويض على أساس وقوع خطأ من النا كل مستقل عن فسخ الخطبة منابعا فى ذلك القضاء الفرنسى .

القضاء الأهلى :

اختلفت المحاكم الأهلية فى ذلك ، فالبعض يرى عدم ترتب أى مسؤولية على العدول على اعتبار أن الخطبة من الأمور المباحة ، وعليه فلا يلزم الناكل بتعويض الضرر الذى لحق الطرف الآخر ، وبعض المحاكم الأخرى يقضى بالتعويض على خلاف فى أساس المسؤولية ، فمنها من ترى أن أساس المسؤولية هو وقوع فعل خاطئ ، ومنها من ترى أن أساس المسؤولية هو سوء استعمال الحق .

وعلى هذا الخلاف لم تستقر المحاكم الأهلية على رأى ثابت ، ولكن يظهر أن ما يسببه التطور الحالى من الأخلاق وانتشار الفساد والتقليد للأوربيين فى عوائدهم من اختلاط الجنسيتين ، سينتهى بهذه المحاكم الى إقرار فسخة التعويض لتخفف نوعا ما من شرور فساد هذا العصر .

« يتبع »

صالح بكبر

المدرس بكلية أصول الدين

لغويات

٣٤ - الصدارة :

تجرى هذه الكلمة بمعنى التقدم والاولية على السنة النحويين ، فيقولون : أدوات الاستفهام تستحق الصدارة ، وأدوات الشرط لها الصدارة . ويقول الصبان في حاشيته على الأشموني في مبحث التعليق لأفعال القلوب : « لأن إن أيضا لها الصدارة » . وقد نرى هذه الكلمة في كتابة المجيدين من المصريين ؛ ففي مشروع الرد على خطاب العرش المنشور في أهرام يوم ٢٣ / ١٢ / ١٩٤٥ : « ويسر المجلس بعظيم الارتياح ، أن حكومة جلالكم قد جعلت العمل لتحقيق الأغراض القومية في مكان الصدارة من برنامجها » .

ولم أر هذا الحرف في اللسان والقاموس والاساس ، ولكنني وجدته في مستدرك التاج ، وعبارته : « والصدارة — بالفتح — التقدم » . ولم أقف على مصدر التاج في هذا ، فهل نعول عليه في إثبات هذه الكلمة ، ونثق به ، أم أنه اعتمد في تدوينها على الشهرة واستفاضتها في السنة معاصريه من المؤلفين فوزعها عربية وليست عربية ؟ إنني أميل الى هذا الأخير . فكثيرا ما يفعل الزبيدي هذا في استدراكه ، وإن كان قد يثبت في بعض الحين على شكه في عربية ما يثبته من هذا القبيل ؛ فهو يستدرك الأوضة إذ يقول : « بقي عليه (أى على صاحب القاموس) الأوضة — بالفتح — لبنت صغير يأوى إليه الانسان » ثم قال : « كأنه من آض إذا رجع ، والاصل الأيضة إن كانت عربية ، والأوضة تركية معناها الحجرة ، وتكتب في التركية أوده . ويقول الزبيدي أيضا : « ورجل فزعة — بالضم — للصغير الداهية . طامية » .

ومما يؤيد أن هذه الكلمة مولدة في العصور الأخيرة أني لم أجدها في عبارات المتقدمين من النحاة وهم يعدلون عنها الى غيرها من المادة كالصدر والتصدر والتصدير . ففي مفصل الزمخشري : « والاستفهام صدر الكلام » . ويقول ابن مالك في الخلاصة : كذا إذا استوجب التصديرا . ويقول الرضي في شرح الكافية ، في باب الاشتغال : « ومن الواجب تصديرها كم » . ويقول ابن هشام في التوضيح في مبحث الابتداء : « الثالثة أن يكون لازم الصدرية ، والصدرية — كما لا يخفى — مصدر صناعي معناه كونه صدرا . ويقول ابن هشام أيضا في المغنى في مبحث لا : « وتقدم معمول ما بعدها عليها في نحو يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها الآية دليل على أنها ليس لها الصدر ، بخلاف ما ، اللهم إلا أن تقع في جواب القسم فان الحروف التي يتلقى بها القسم كلها لها الصدر » . ومما يقف النظر أن الصبان حين نقل هذا

البحث عن المعنى عبر بالصدارة على مألوفه ومعتاده ، فهو يقول في مبحث التعليق : « لكن في المعنى ما يظهر به وجه التقييد ؛ حيث نقل فيه أن الذي اعتمده سيديوه أن لا النافية إنما يكون لها الصدارة حيث وقعت في صدر جواب القسم » .

٣٥ - الدرديبس خرزة للحب :

وردت كلمة الدرديبس في شرح الاثموني ، في مبحث « ما لا ينصرف » ففسرها الصبان في حاشيته بمعان منها المعنى المسطور : خرزة للحب . وأحس الانباني في تقريره على حاشية الصبان غموضاً وإيهاماً في هذا المعنى ، فتصدي لبيانته ومحاولة إيضاحه . ويذكر الانباني أن نسخ الصبان في بعضها الحُب بالحاء المهملة ، وفي بعضها الجب بالجيم ، ويذكر أن الوجه الأول يوافق نسخ القاموس المطبوعة ، ثم يعرض لتفسير المعنى على الوجهين ؛ فعنده أن خرزة الحُب جرة الماء . وقد رأى أن الحُب في هذا المقام هو الجرة الكبيرة يكون فيها الماء — وهو في هذا المعنى معرب عن الفارسية — ولا أدري بماذا يفسر الخرزة . فأما خرزة الجب في الوجه الثاني ، فهو يفسر الجب بالبئر ويفسر الخرزة — نقلاً عن بعض هوامش المحشى — بأنها الخرزة الموضوعة عليه . وكأنه يريد بها البكرة التي تعلق بها الدثني فيستخرج الماء ، وهذا في اصطلاح الحجازيين فيما أعلم .

وإذ كان الانباني قد شط عن الصواب في تفسيره ، فقد أحببت أن أبين عن الوجه فيه ، كي لا يفتر به من يقف عليه .

فقد كان نساء العرب يحرصن على أن يتعبين الى أزواجهن — وكذلك النساء في كل أمة وعصر — وكن يصطنعن لذلك ضروباً من السحر والرقى ، ويحملن تعاذات وتماثم وخرزا ، وكن يمتدّن أن هذه الأمور تعطف الأزواج عليهن ، وينزلن منهم منزلة سامية . ومن هذه الخرزات الدرديبس والقطسة والقبلة ، وكن ينظمنها في منظم أو قلادة ، يتقلدنها ، وتلقى المرأة على كل من هذه الخرزات رقية خاصة . وهذا السحر يسمى تأخيذاً . والتأخيذ أن تحبس المرأة زوجها عليها فلا يقرب غيرها — وهو ما يدعى في العامية بالربط — وقد يكون التأخيذ لاسعر الذي يحدث البغضة ، والريوكة لما يحدث الحب من السحر . ويروى أن امرأة جاءت الى السيدة عائشة فقالت لها : أوخذ جملي ؟ فلم تقطن لها حتى فطنت فأمرت بإخراجها .

وأعود الى حديث الخرزات ورقاها : فالدرديبس خرزة سوداء ، كان سوادها لون السكبد ، إذا رفعتها واستشففتها رأيتها تشف مثل لون العنبة الحمراء ، توجد في قبور عاد . وكانت المرأة تقول في رقيتها : أتخذته بالدرديبس ، تدير العرق اليبس . وقد فسر العرق اليبس بالذكر . وقد تكون ضربته مثلاً تريد به القاسى من القلوب . وكانت تقول في القطسة : أتخذته

بالقطعة ، بالشوَّبا والمقطعة . وتقول في القَبَلَة : يا قبلة أقبليه ، ويا كُرَّار كُريه . وقد ذكر الشاعر هذه الخرزات فقال :

جُمتمن من قَبَل لهن و فطسة والدرديس مقابلا في المنظم
ومما يذكر في هذا المقام أنه كانت لهن خرزة تدعى خرزة العُقر ، تشدها المرأة على حقوبها
لثلاث تحمل .

٣٦ - الخضراوات والخضراوات :

يستعمل الكتاب اليوم هذه الكلمة ، ويسمونها بالصورة الأولى بدون ألف بعد
الراء . ففي الرسالة العدد (٦٣٢ ص ٨٧٠) : « ٦٠٠ رطل من الخضراوات » . والصواب
في الرسم الصورة الثانية . إذ الخضراوات جمع الخضراء فثلثا مثل صحراء وصحراوات . وقد
سوغ جمع الخضراء جمع تصحيح مع كونه وصفا على فعلاء التي مؤنثها أفعل ، أنه في معنى
الاسماء ، ولولا هذا لم يستقم لها هذا الجمع ، بل جمعها خُضُر .

قال في المصباح : « قولهم : ليس في الخضراوات صدقة هي جمع خضراء ، مثل حمراء
وصفراء . وقيامها أن يقال : الخُضُر كما يقال الحمر والصفير ، لكنه غلب فيها جانب الاسم ،
فجمعت جمع الاسم ؛ نحو صحراء وصحراوات ، وحلكاء وحلكاوات ، وعلى هذا فجمعه قياسي ؛
لأن فعلاء هنا ليست مؤنثة أفعل في الصفات حتى نجتمع على فُعَل نحو حمراء وصفراء ، وإذا
فقدت الوصفية تعينت الاسم » وقد التحقت كلمة الخضراء بالاسماء من قبل أنها لا يراد بها
ذات اللون أيا كان نوعها حتى تشمل القبة الخضراء مثلا ، وإنما يراد بها هذا الصنف المخصوص
الذي يؤكل في العادة أخضر ، وفي الحديث : تجنبوا من الخضراء ماله رائحة ، يعني النُوم
والبصل والسكرات .

ويقال للخضراوات الخُضَر ، وهو في الأصل جمع الخُضرة ، أطلقت الخضرة وهي
الأصل مصدر اللون على هذه الأصناف . ومن شواهد هذا الاستعمال قول الرازي :

إذا شكونا سنة حسوسا تأكل بعد الخضرة اليبسنا

يقال سنة حسوس : تأكل كل شيء ، وأراد تأكل بعد الأخضر اليابس ، فوضع الخضرة
موضع الأخضر . وفي القاهرة « سوق الجملة للخُضَر والفاكهة » والخُضَر جمع الخُضرة من
هذا . ويقال في هذا المعنى أيضا الخُضَار . وفي القاموس : « وُخْضِرَ يقول كالخضارة »
وقول العامة الخضار إما أن يكون من إشباع الخضر ، وإما أن يكون اختصارا من الخُضرة ؟

محمد علي النجار

المدرس بكلية اللغة العربية

كلمة

(تابع ما قبله)

الفرض الرابع :

هذا العمل الفقهي للقانون الروماني من ناحية الاحتيال على شدته وما عرف به من رموز وأشكال وعبارات ، ومن ناحية تفويق العنصر الأخلاقي على العنصر الشكلي الآلي ، ومن ناحية الأخذ عن الشعوب ما يطيب ويلتئم مع طبيعة البشر في القانون الطبيعي وما لا يتنافر مع أصول القانون الروماني : هذا العمل الفقهي مع وفرة جهوده وتمدد مناحي وجوه العمل لديه ومع التطورات الزمانية وتوالي الأحقاب والأجيال : هذا كله لم يمسح القانون الروماني في أصله ، بل كانت القاعدة الأجنبية أو المأخوذة عن القانون الطبيعي ، كانت تدخل إلى حظيرة القانون الروماني فتصطبغ بصبغته وتطبع بطابعه وتندمج فيه إلى حد الزوال في كيانه وتفرق في بحاره ، بحيث إذا ما ظهرت بعد الاندماج والفرق والزوال السكياني ، إنما تظهر رومانية الملبس والمظهر ، قد خلعت عنها ثوبها الأجنبي ولبست الثوب الوطني الروماني شعارا لها ورمزا لوجودها .

هذا العمل الفقهي وهذا الاحساس الوجداني والشعور للفقهاء الروماني ، هو خير ما تصل إليه الوطنية الصحيحة : يصهر المبدأ الأجنبي أو المبدأ المأخوذ عن القانون الخيالي الطبيعي ، في عصر القانون الروماني البحت ، فيخرج وهو روماني صرف لم يتجنس بالجنسية الرومانية حتى يقال بأنه من أصل أجنبي وأن الفضل فيه إنما هو لأجنبيته لا لزعته الجديدة الرومانية ، إنما دخل المصهر القانوني الروماني أجنبيا طبيعيا ، وخرج رومانيا بحثا . هذه المهارة الفقهية هي أجل ما ينحلي به جيد شعب عرف كيف يحافظ على كيانه وكيف يحفظ أصله ومحتده ، وكيف يائي ويأبى أن تطفئ على نعرته الوطنية نزعة أجنبية لها خطورتها على السكيان القومي مهما بلغت من سؤدد في الرأي وحصافة في التفكير . ولانعرة الوطنية مقامها الأول عند زعماء التفكير الفقهي . وبالسكيان القومي تحيا الجماعة حياة نحس فيها بالكيف الوجودي والسك الجنسي والافتة الشعبية والكبرياء الوطني والكرامة القومية .

أليس من فقه الرومان وما أبلاه من بلائه الحسن في هذه الناحية السكيانية لاتومية الرومانية ، أليس من ذلك الفقه عظة لمن يفكر في وضع قانون جديد للشعب المصري : وضعه لا تضع فيه معالم القانون الحاضر وما تأصل فيه من ماض مجيد ، ماض يرجع إلى أحكام الشريعة الإسلامية بما سنفصله هنا حالا ، وما تركز في الطبيعة الإسلامية من تلك الأحكام

وتلك المبادئ التي قال بها فقهاء الشريعة الاسلامية قولا طويلا مشبها بروح التساهل والتعامل على أساس الانحياز في الوعد بخير ما ترضى به الذمة الطاهرة ويأمر به حسن الخلق ؟ أليس في الفقه الروماني عظة لمن يفكر في تشريع جديد ، أن لا يطنى ذلك التشريع الجديد على إحساس قومي تربي ونما في أحضان الشريعة الاسلامية ، وأن لا يكتفم الناس النعمة الوطنية المصرية ، وأن يأخذ بالكيان القومي والقوة الوطنية بما يحفظ عليها وجودها ، فتحيا الأمة وتظل سليمة من أن ينشأ بها تغيير تشريعي ليس منها ودخيل عليها ، فتفقد معه ما اكتسبته في أحقاب وأزمان سابقة ، بما يتشوه لديها من تشريعات مفاجئة وقوانين إن بهرت الأنظار بهجتها فهي تلك الكيان الوطني دكا دكا ، وتنسحق الجيل الحاضر وما يحمل من ذكريات ، وتنسى الجيل الحاضر والأجيال القادمة ما تفقد معه الجماعة للبيئة الواحدة نعمة وطنية سابقة سابعة وانسجاماً وطنياً تاريخياً له أثره وآثاره في الحياة القومية العامة ؟

هذا الدرس الروماني الفقهي له روعته وله مكانته التاريخية التي لا ريب فيها . وهذه العظة الرومانية من خير ما يستعان به في توجيه الجماعة توجيهاً جديداً لتشريع جديد . هذه القوة وتلك المثانة التي عرف بها القانون الروماني فيما حافظ فيه على أصله الروماني البحت وكيانه الروماني الصرف ، هذا كله أصبح للشعوب الحاضرة نبراساً تهتدي به ونورا تلجأ اليه .

وإن نحن أردنا أن نلم بما حلف بالأمة المصرية من الأضرار التشريعية وما نزل بها من حيف تشريعي مسها في صميم كيانها القومي الاسلامي وألبسها ثوبا قائما في لونه لا يلتئم مع ماضيها ولا مع نعرتها القومية ، فانا لا نزيد الوقوف طويلا في ذلك بأكثر من الإشارة الى ما فعله « نوبار » رئيس الوزارة المصرية من سنة ١٨٦٧ وهو في سبيل إنشاء المحاكم المختلطة التي ظهر وجودها سنة ١٨٧٥ . كان يشكو « نوبار » من اختلاف التشريع في مصر ومن اختلاف المحاكم ، وكان المدعى يرفع الدعوى أمام محكمة المدعى عليه ، محكمة قنصلية أو محكمة شرعية أو مدنية . كان يشكو من ذلك فلم ير علاجا إلا أن يعمل جهده المتواصل في مصر وتركيا وأوروبا في مناح عدة بها ، على إنشاء محاكم مصرية تتكون من عنصر أجنبي له الأغلبية ومن عنصر وطني له الأقلية ، ولها قوانين منسوخة عن القوانين الفرنسية نسخا ، قوانين أجنبية لا تعرفها مصر وليس لها بها عهد ، إنما عهدا بأحكام الشريعة الاسلامية التي كان يحكم بها قضاة البسلاد في المحاكم الشرعية وفي المحاكم المدنية ، وهم قضاة أخرجهم الأزهر في بيئة أزهرية لحنها الشريعة الاسلامية وسداها الروح التشريعي الاسلامي . أنشئت تلك المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٥ بتكوينها الأجنبي الغالب والمصري الأقل ، ووجد بجانبها قانون مصري أجنبي في أصله وتقنيته . هذه الضربة كانت قاصمة لمصر في نزعتها المصرية وفي نعرتها القومية . وكان الأجدر بمن صرف جهده سبع سنوات في جمع الآراء من هنا وهناك في إنشاء

تلك المحاكم المختلطة ، أن ينصرف الى إصلاح المحاكم المصرية الموجودة إذ ذاك إصلاحاً يأتلف مع روح القومية المصرية ومع السكان الوطنى المصرى .

وإن كان لابد فى الإصلاح من ضرورة وضع المحاكم المصرية الوطنية الجديدة وضما بحكم النظم المتبعة فى أوروبا من حيث درجات التقاضى وقيمة التقاضى ، بحيث لابد أيضا من مراعاة ما درج عليه القوم من درجات التقاضى وما فهمه منها طبقا لما قال به علماء الفقه الاسلامى : وإن كان لابد من ذلك ، فانه كان من المحتم وقتذاك أن لا تنقل القوانين الأجنبية كما نقلت عنها القوانين المختلطة ، بل كان لابد وأن يرجع الى فقه المعاملات فى الشريعة الاسلامية ، وحتى يشعر المصرى أن قانونه قائم وعقيدته فيه قائمة ، وأن ما دخل عليه إنما هو مجرد تنظيم شكلى خارجى لا يمت الى السكان بصله ما . وإن أريد وقتذاك ، وهى إرادة لابد منها حتما فى ذلك الوقت ، ضرورة إدخال أصول قانونية جديدة بما يأتلف مع الحياة المصرية فى ذلك الحين ، فانه كان من المحتم أن تدخل تلك القواعد القانونية الجديدة مصر التشرىع المصرى والتشرىع الاسلامى فتصهر فيه وتخرج إسلامية بحتة بعد أن تترك ثوبها الأجنبى بعيدا .

كان ذلك أجدى « بنوبار » إن شاء لمصر خيرا ولقوميتها خيرا . وقد شاء هو الخير ، على ما يقوله المؤرخون ، ولكنه أخطأ التوفيق فيه ؛ أخطأ الى حد القول بأن الخطأ جسيم بلغ من الجسامة خطرا لا يمكن للتاريخ أن يسكت عليه ، إذ كان له أن يدقق فى الأمر ويضطلع فيه اضطلاعا يحفظ به كيان القومية المصرية فى شعارها الوطنى الاسلامى وفى شعورها القومى العربى . وكان يتعين عليه أن يهتدى بالتاريخ ومن اضطلعوا بالتاريخ ، وأن يأخذ بالفقه الرومانى بالقدر الذى يراه فى نظره مناسبا لشعب مصرى إسلامى عربى ألقيت مقابله أموره إليه . ولكن الرجل المشرع أو السياسى « نوبار » لم يفعل شيئا من ذلك ، بل ترك النعرة المصرية جانبا ، وولى وجهه عما تبغيه القومية الاسلامية العربية . ولعله رأى أن من سلامة الكيان القومى المصرى الاسلامى العربى إنشاء المحاكم المختلطة على الأسلوب الأوروبى البحت ومنح القوم المصرى تشريعا أجنبيا بحتا ، وسبيله فى ذلك المسارعة الى التنظيم من أجل البت فى العلاقات المصرية الأجنبية فى ميدان التعامل المدنى والتجارى .

وهذا كله خطأ وخطر لا يمكن للتاريخ أن يغفرها له . وهى الأجيال الحاضرة إنما نحاسبه حسابا عسيرا على ما أخطأ الفهم فيه وضل التوجه اليه . والتاريخ الحاضر يحفظ لجيله الحاضر تمسكه وإصراره الإبائى على ضرورة إلغاء الامتيازات الأجنبية وإلغاء المحاكم المختلطة إلغاء يحفظ على مصر كيانها الوطنى واستقلالها الشعبى التشريعى والقضائى .

وقد جاءت المحاكم الاهلية سنة ١٨٨٣ وأنشئت على غرار المحاكم المختلطة المنهأة

سنة ١٨٧٥ أى بعد إنشائها بثمانى سنوات ، ووضعت لها قوانين نقلتها عن القوانين المختلطة المنقولة عن قوانين فرنسا . وكان الأجدر فى ذلك كله أن لا يسار فى ذلك الطريق هذا السير ، بل كان يحسن إلغاء المحاكم المختلطة التى كان الأجل فيها معقودا لمدة سنة واحدة ، ويكون إلغاؤها سنة ١٨٨٣ فى الوقت الذى أنشئت فيه المحاكم الأهلية . وكان يتعين إنشاء المحاكم الأهلية على الطريقة المعروفة فى الشريعة الإسلامية ، كما كان يجب أن تعمل لها قوانين على غرار ما تقرر فى الشريعة الإسلامية وما درج عليه الأهلون فيها ، ولكن الأمر جاء على خلاف ما تقتضى به النعمة القومية والكيان المصرى والميول العربية السليمة ؟ « يتبع »

عبد الله مكرم زهنى

ان من الشعر لحكمة

قال أبو فراس الحمداني :

إذا كان غير الله المزمع عيكة أنته الرزايا من وجوه المكاسب
وله أيضا :

عفافك على إنما عفة الفتى إذا عف عن لذاته وهو قادر
وقال أبو الطيب المتنبي :

كل حليم أتى بغير اقتدار حجة لا جىء إليها اللثام
وله أيضا :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام
وله أيضا :

لا يعبين مضيا حسن رزقه وهل تروق دفيننا جودة الكفن
وله أيضا :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أتى بما أنا بالك منه محسود
وقال شاعرنا شوقي :

وليس بعاصر بنيات قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

العقل والنقل والذوق

- ٣ -

ومن تلك القواعد « شرع من قبلنا » وهي الأخذ بما شرعته الديانات السماوية قبل الاسلام ، مادام لم يرد في الشرع الاسلامي ما يخالفه ، كالتقصص « العين بالعين والسن بالسن » فانها وردت في القرآن الكريم باعتبار أهل بني اسرائيل ولم يشر الى سريانها على الدين الاسلامي ولما طبقت .

ومنها أيضا « قول الصحابي » ولا يؤخذ به من حيث هو كذلك ولكن من حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم ارتضاه في أيام وجوده ، ولا يكون حجة على غيره من الصحابة المجتهدين ولو كان إماما أو حاكما .

هذا فيما يختص بالمصادر والاصول والقواعد ، أما من حيث الوسيلة الى الاحكام الشرعية فلمشرعين وسيلتان أو منهجان : « المنهج النقلى » أى الأخذ بالسماع ، فيطبقون ما ورد من الاحكام في القرآن الكريم والسنة الشريفة متى ثبت صحة روايتها ، « والمنهج الاستنباطى » وهنا يستخدم العقل في التحليل لمعرفة علة الحكم ليقارن به الحالة الجديدة التى لا نص لها ، فاذا اشتركا فى العلة انطبق الحكم ، فهذا المنهج من بعض وجوه منهج استنباطى تحليلي . وكذلك هناك « الطريق التنبهى » الذى يستخدمونه فى محاولة إثبات صحة رواية جديدة وذلك باتباع السنة ، فكلما كان المسند إليه موثوقا به زالت الشبهة عن صحة رواية الحديث . وكل تلك الأمور وما إليها تستند على العقل أولا وقبل كل شئ .

وإذا نحن توجهنا شطر الصوفية ألفينا أنهم يحاولون مجهد استطاعتهم أن يردوا أنظارهم وما انتهوا إليه من مذاهب قد تبعد أحيانا عن الروح الاسلامية الحقة ، الى مصادر اسلامية إن فى كتاب الله أو فى سنة رسوله ، حتى تلك المذاهب التى تبدو أنها من أصل أجنبي فارسي أو هندي أو يوناني يحاولون خلق أحاديث لها يفسبونها الى الرسول أو يعمدون الى تأويل آيات القرآن وأحاديث الرسول ويحملونها أكثر مما تحتمل ، ولم لا ، وهم أهل باطن لا يأخذون المعنى الظاهر من اللفظ ، ولما ينفذون الى سره وكنهه ، فصاحب المع يقرر « أن العلم ظاهر وباطن ، وحديث رسول الله ظاهر وباطن ، والاسلام ظاهر وباطن » .

وفما يلى بعض نماذج من تأويلات الصوفية للآيات القرآنية تدعى لوجهة نظرهم :
« وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » يفسر أهل الظاهر هذه الآية بأن الله أعز جيوشه ،

إلا أن أهل الباطن يرون فيها دليلاً على أن الله تعالى هو الفاعل الحقيقي المطلق لكل فعل
والإنسان منه بمنابة القلم في يد الكاتب (١)

كذلك الآية الكريمة « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما »
يتخذونها دليلاً يؤيدون به وجهة نظرهم في خلق العالم . ويعد ابن عربي أربع من أول القرآن
الكريم بما يتفق ومذهبه في وحدة الوجود ، ف قوله تعالى « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
حتى يتبين لهم أنه الحق » يقول ابن عربي الحق على أنه الله تعالى ، أى حتى يظهر لهم أن ما في
الآفاق وما في أنفسهم من الآيات إنما هي مظاهر وصور للحق أى لله تعالى .

وكذلك الآية الكريمة « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة » يفسر ابن عربي
النور بالذات . وأيضاً قوله تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه » يفسر الوجه بالذات .

هذه نماذج من تأويلات الصوفية للقرآن ، وللصوفية تأويلات أخرى للحديث الشريف
والأحاديث القدسية تتفق ومذاهبهم ونظرياتهم .

ويتبين من هذا أنهم اشتركوا مع أهل الشريعة والظاهر في أنهم اتخذوا مصادر آرائهم
من الكتاب والسنة ، غير أن أهل الشرع أخذوها بظاهر ألفاظها ، في حين أن الصوفية سلطوا
عليها أذواقهم ونفذوا إلى أمرار كلماتها وأولوها حسب مذاهبهم .

أما فيما يختص بالقواعد التي التزمها بعض المشرعين واعتبروها كأصول فتلك أمور نعى
المجتمع أولاً وبالذات ، ولم يكن للصوفي أن يعنى بمثل تلك الأمور التي تدور حول الحظوظ
الدنيوية ، ذلك لأنه إنما كرس حياته في سبيل الوصول إلى الاتحاد بالله والكشف عن حقيقة
الله وشهود الذات الإلهية .

أما فيما يختص باستخدام العقل كوسيلة للمعرفة ، فذلك لم يرضه الصوفية ، وفضلوا عليه
المشاهدة بالدوق ، وهي حال يحدث فيها الكشف والمعرفة الدوقية اليقينية ، ويتوصل إليها
عن طريق تزكية النفس وطهارة السريرة وجلاء مرآة القلب (٢) .

هذا فيما يختص بالشريعة والتصوف ، وإذا عرجنا نحو الفلسفة وجدنا عقلها الجبار يحاول
أن يفسر كل شيء ويبحث كل شيء بحثاً يتفق معه ، فهو لا يؤمن بشيء إلا إذا بحثه وحلله
إلى عناصره ، فلا إلهام ينفع عنده ولا نعت في الروع .

يعتمد المنهج الفلسفي أولاً وقبل كل شيء على العقل ، يحاول أن يفسر كل الأشياء تفسيراً
عقلانياً ويحل جميع القضايا حلاً يتفق مع العقل والمنطق ، واستطيع أن نلمس ذلك في ضروبه

(١) التصوف الإسلامى للدكتور زكى مبارك والبركات اليونانى في العالم الإسلامى ترجمة الدكتور
عبد الرحمن بدوى (٢) أحياء علوم الدين للغزالى .

المختلفة من قياس واستقراء وما الى ذلك ، وهو بهذا يخالف المنهج التصوفى على طول الخط ، فهذا الأخير يعتمد أولاً وقبل كل شيء على الذوق والالهام والكشف ، ونستطيع أن نلمس الفرق بين المنهج الفلسفى والمنهج التصوفى إذا نحن قارنا بين تأويل المتصوفين للآيات والأحاديث النبوية وبين تأويل جماعة المعتزلة لها ، فتأويل المعتزلة يظهر فيه المنهج العقلى والحجة المنطقية ، أما تأويل الصوفية فواضح أنه يعتمد على الذوق والالهام .

من هنا نرى أن المنهج الفلسفى أقرب الى منهج الشريعة منه الى منهج الصوفية ، فقد قلنا إن منهج الشريعة يقوم على أربعة أصول هى القرآن والحديث والقياس والاجماع ، وواضح من هذا أن الأصل الأول بمنأى عن الشك ، أما الأصل الثانى فلا بد للمشرع بصدده أن يلبس ثوب الفيلاسوف ، أى أن يستعمل عقله ، فهناك بعض أحاديث موضوعة ، ولكننا نحب أن نقول إن التمييز بين الحديث الصحيح والحديث الموضوع يعتمد قبل كل شيء على صدق الرواية ، أما الأصل الثالث وهو القياس وإن تميز عن القياس المنطقى الذى يتكون من مقدمة كبرى ومقدمة صغرى ونتيجة إلا أن العقل هو الأساس الأول فيه ، فنقيس الحكم بشبيهه أيام الرسول . أما الاجماع فإن المنهج الفلسفى لا يرضاه ولا يقبله ، فقد يجمع الناس على شيء خطأ وإن أجمعوا على شيء صواب .

وبالجملة فالمنهج التشريعى ينفق من بعض الوجوه عن المنهج الفلسفى ، وهما يختلفان تمام الاختلاف مع المنهج التصوفى .

للسان فى الفلسفة

شجاعة العلماء

دخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده ابنه المهدي ، فقال له أبو جعفر : هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، ورجائى أن تدعوه له .

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين أراك قد رضيت له أموراً يصير اليها وأنت عنه مشغول . فبكى أبو جعفر وقال له : عظمى أبا عثمان . فقال : « يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها . هذا الذى أصبح فى يديك ، لو بقى فى يد من كان قبلك لم يصل اليك .

قال المنصور : أبا عثمان أعنى بأصحابك . فأجاب قائلاً : ارفع علم الحق يتبعك أهله .

لغة قريش

— ٢ —

ولسنا نعني باللغة هنا ذلك المعنى الذي كان متعارفا بين الرواة ، فقد كانوا يطلقون اللغة على « ما كان باقيا لعمدهم في السنة من أخذوا عنهم من القبائل » ، وإنما نعني باللغة الطريقة التي تتفاهم بها القبيلة مما يشمل اللهجة ودلالة الكلمة وبنيتها من تقديم أو تأخير وتصحيح أو إعلال وحذف أو زيادة . ومن المشهور عند العلماء أن العرب كانت لهم لغات متعددة بهذا المعنى الذي ذكرناه ، وأن من هذه اللغات الفصح والضعيف . وقد اعتبروا قريشا مركز الدائرة فلغتها فصحي اللغات ، ثم تليها في الفصاحة لغات القبائل اللصيقة بها ، وكلما بعد موطن القبيلة عن قريش بعدت المسافة بين لغتها ولغتهم ؛ ولذلك كانت القبائل التي تعيش في مشارف الشام أو تنزل ريف العراق أو على حدود مصر مشوبة اللغات لمخالطتهم الفرس أو الروم أو القبط ، وكانت القبائل التي تسكن سرة الجزيرة العربية نقية اللغة فصيحة اللهجة . وقد ذكروا أن القبائل الفصيحة التي عنها أخذت اللغة بعد قريش هي قيس وتميم وأسد وعلياء هوازن وهم سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وكان أبو عبيدة يعتبر سعد بن بكر أفصح هؤلاء لقول النبي صلى الله عليه وسلم « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر » ويقول فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصح القبائل عليا هوازن وسفلى تميم .

ولا شك أن هذه اللغات كانت متباعدة ، ولكن تهيأت لها أسباب التقارب من اختلاط عرب الشمال وعرب الجنوب الذي نشأ عن هجرة القحطانيين بعد تهمد سد مأرب واختلاط العرب في الأسواق ومشاعر الحج ، وما كان لقريش من عظيم الأثر في انتقائها أطايب اللغات ، ثم أخذ العرب عنها فكان قريش يسمعون لغاتهم — القبائل — ويأخذون ما استحسنوه منها فيديرون به ألسنتهم ويجرون على قياسه ، ولوا كانوا بآدين كسائر القبائل ما فعلوه ، ولكن نوع الحضارة الذي اكتسبوه من تاريخهم ألان من طباعهم وكسر من صلابتهم فاتفقت في ذلك حياتهم اللغوية وحياتهم الاجتماعية القائمة بالتجارة وتبادل العروض مع أصناف الناس ، فلما اجتمع لهم هذا الأمر ارتفعت لغتهم عن كثير من مستبشع اللغات ومستبجحها ، وبذلك صرنا على الانتقاد حتى رقت أذواقهم وسمت طبائعهم وقويت سلاقتهم وحتى صاروا في آخر أمرهم أجود العرب انتقاء للأفصح من الالفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا

وأبينها إبانة عما في النفس ، وكذلك كانوا يضربون في الأرض الى فارس والى الحبشة ، فسمعوا مناطق الناس رتدروا وجوه العذوبة في أعذبا ، وتناولوا كثيرا من ألفاظ تلك الأمم فدخلت كلامهم وأعربوها من الرومية والفارسية والعبرانية والحبشية والحيرية ، وعلى ذلك صاروا بطبيعة أرضهم في وسط العرب كأنهم مجمع لغوى يحوط اللغة ويقوم عليها ويرفع من شأنها ويزيد في ثروتها ، وبالمجلة يحقق فيها كل معاني الحياة اللغوية ، (١) .

لكننا ندهش حين نرى العلماء متفقين على أن قريشا كانت بحكم مركزها الأدبي والديني تفرض لغتها على القبائل ، وأن الشعراء والخطباء جعلوا يحاكونها لتكون آثارهم أذيع ، ومعنى هذا أن لغات القبائل كانت في حاجة ماسة الى محاكاة لغة قريش ، وأن هذه اللغة ظهرت على أخواتها من اللغات المضرية ، بل دخلت على الحيرية في موطنها . وهذا أمر لا أجده التاريخ اللغوي يساعد ، نعم كانت لغة قريش في الدرجة العليا من الفصاحة حتى صالحت لأن ينزل بها كتاب الله ، ونعم إن أهلها بذلوا جهودا مشكورة لتهذيبها ، ولكن ليس معنى ذلك أن اللغات الأخرى كانت في حاجة إليها لتسمو آثارها الأدبية ، ولست ألقى القول على رسيلاته ، ولسكني أوبده بالحجة والدليل .

عرفنا في المقال السابق أن الذي جمع هذه القبائل التي سميت (قريشا) إنما هو قصي ، وقد عاش قصي في أوائل القرن الخامس الميلادي ، واليه صارت عمارة البيت الحرام بعد أن كانت في يد خزاعة ، فلا بد أن يكون القرشيون مكشوا ذهرا بجودون في منطقتهم ويهذبون في لغتهم ولم تكن القبائل آنذاك واقفة تنظر ما تصل اليه قريش من نتائج ، بل كانت كل قبيلة تضيف الى لغتها ما تستعذبه من لغات القبائل الأخرى .

وقد يساعدنا على ما نرمي اليه أن الرحلتين اللتين كانتا لقريش ، ومنهما استفادت كثيرا ، إنما سنهما هاشم وقد عاش في النصف الثاني من القرن الخامس ، ومع ذلك فقد وصلنا شعر كثير ونثر يرجع تاريخهما الى ما قبل قصي ، وهذا الشعر وهذا النثر لا يختلف في كثير ولا قليل عن أي شعر آخر وصلنا بلغة قريش ، وإذا صح ما اكتشف أخيرا من الكتابة التي وجدت على قبر امرئ القيس بالشام والتي يرجع تاريخها الى سنة ٣٢٨ م إذا صح هذا كان معناه أن امرأ القيس عاش قبل أن توجد قريش بقرن من الزمان ومع ذلك فشعره كأنه قرشي .

والذي نستطيع أن ندين به في هذا الأمر أن لغات القبائل أخذت تتقارب في زمن قديم ولم تبق في المصور الأخيرة إلا فوارق بسيطة كان جلها يرجع الى اللهجة . ونحن نعجب لمن يقول إن أثر لغة قريش دخل على الحيرية في مهدها ، وهذا أبو عمرو بن العلاء يقول : « ما لسان

حمير بلساننا ولا عربيتهم بعريبتنا . « ولست أوافق من يتأول هذه الكلمة بما يفيد أن لغة الشمال ولغة الجنوب كانتا متقاربتين بعد ما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقدر عليه بعض القبائل فيخاطبها بلسان لا يفهمه المضربون حتى قال له علي بن طاب : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك نخاطب قبائل العرب بما لا نفهم أكثره ؟ فقال عليه السلام : « أدبني ربى فأحسن تأديبي » . وكذلك كان جوابه لأبي بكر حين سأله مسألة على ، فعلى وأبو بكر وهما ما هما كانا لا يفهمان في بعض الأحيان أكثر لغة بعض القبائل ، وقد وصلنا شيء من هذه اللغات التي لم يكن يفهمها المضربون ، ومن أمثلة ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى همدان « إن لكم فراعها (١) ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون غفاهها » ، وكتابه إلى وائل ابن حجر الذي جاء فيه « إلى الأقبيل العباهلة والأوزاع المشاييب ، ومنه : وفي التبعة شاة لا مقورة الألباط ولا ضناك وأنطوا الشبجة ، وفي السيوب الحنس » . غير أنه كان في الجنوب قوم متحضرون عذبت ألسنتهم ورقت حواشي كلامهم مع أن أثر قريش لم يكن وصل إليهم ، ولو سلمنا أنه وصل فهو أثر ضعيف لا ينتج لغة عذبة لطيفة رقيقة الحواشي .

روى القاتل في أماليه عن رواه قال « مات أخ لذي رعين فعزاه بعض أهل اليمن فقال : إن الخلق للخالق ، والشكر للنعم ، والتسليم للقادر ، ولا بد مما هو كائن ، وقد حل ما لا بدفع ، ولا سبيل إلى رجوع ما قد فات ، وقد أقام معك ما سيذهب عنك ، وسنتركه ، فما الجزع مما لا يدمنه ، وما الطمع فيما لا يرجى ، وما الحيلة فيما سينقل عنك أو تنقل عنه ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد الأصل ؟ فأفضل الأشياء عند المصائب الصبر ، وإنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عن الركاب إلا في غيرها » .

فاذا عرفنا مع ذلك أن قريشا تخلفت في الشعر فلم يكن منها نابغون فيه ، وكذلك كانت الحكومة في الشعر في عكاظ لغيرها ، وأمر التابعة الديباني مشهور ، والحكومة بين العرب لم تكن لها أيضاً بل كانت لبني تميم ، وكان آخرهم الأقرع بن حابس ، إذا عرفنا ذلك مضافاً لما تقدم أمكننا أن نخفف من غلواء هؤلاء الباحثين الذين يجهلون لقريش أكبر الفضل في تهذيب اللغة العربية ، وأمكننا ألا نبخس القبائل العربية حظها الوفير في هذا التهذيب ، وقد كانت في لغة قريش ما أخذ لا تتفق مع الفصاحة لذلك تجنبها القرآن الكريم ، وموعداً بها المقال التالي ؟

(يتبع)

على محمد عسمة

المدرس بمعهد القاهرة

(١) الفراع مجازي المساء إلى الشعب . والوهاط : الوهاد . والعزاز الأرض العالية . والعلاف : جمع علف . والغناء : ما ليس فيه ملك

فقيه الأزهر والعلم

العلامة الكبير الشيخ يوسف الدجوى

فوجيء المسلمون يوم الأربعاء ٥ من صفر الجارى بنبا وفاة العلامة الشيخ يوسف الدجوى، فكان لوفاته أثر عميق فى القلوب، قل أن يشاهد مثله لغيره فى هذا العهد الحديث. فقد كان رحمه الله واحدا من بقية الأعلام الأزهريين الذين مثلوا مجد الأزهر القديم، وحفظوا تقاليده المتوارثة كابرا عن كابر، بحيث يتعذر ملء الفراغ الذى تركه أمدا غير قصير.

كان الأستاذ الدجوى من العلماء الراسخين فى العلوم التى تدرس فى الأزهر أخذها عن أئمتها مثل الشيخ هرون عبد الرازق والشيخ أحمد الرفاعى الفيومى والشيخ محمد طهرم، والشيخ أحمد فايد الزرقانى، والشيخ رزق البرقامى، والشيخ سليم البشرى، والشيخ البحرى، والشيخ المدوى، وكلهم من أقطاب الجامعة الأزهرية الذين صانوا رسالتها إلى هذا العصر الحديث (١).

ولد الأستاذ الدجوى فى قرية دجوة التابعة لمركز قليوب فى سنة (١٢٨٧) من أب عربى وأدخله والده الأزهر فى سنة (١٣٠١) ونال شهادة العالمية فى سنة (١٣١٧) بنجاح عظيم كان مدعاة لأن يزوره فى داره الشيخ راضى الحنفى من كبار العلماء وهنأه على ما أصاب من توفيق. وما فعل ذلك إلا من شدة إعجابه به، وإكباره لشأنه، وتوقعه له حياة علمية تشرف الأزهر والأزهريين. وقد صدق حدسه، فإن الأستاذ الدجوى لم يلبث أن ظهرت مواهبه، وتجلت خصائصه، فصار مرجعا للمستهددين والمستفتين فى جميع البلاد الإسلامية.

ولما أسست المشيخة الأزهرية مجلة الأزهر كان أول من وقع اختيارها عليهم ليجرروها الأستاذ الدجوى رحمه الله، فكتب فيها البحوث الممتعة فى الدين والتفسير والحكمة، وبنى على موافقتها ببحوثه إلى عهده الأخير. وفى هذا المدد آخر مقالة له فى التفسير.

من مميزات الفقيه رضى الله عنه أنه يأنس إلى البحوث النفسية الحديثة فى أوروبا ويراها خير أداة لكسر شوكة الماديين، وقد اعتمد فى كتاباته على ما حققوه منها، وكان لا يخشى فى مجاهرته بذلك لومة لائم.

وقد ترجم له قلم ترجمة مجلة الأزهر كتابه القيم (رسائل السلام) إلى اللغة الإنجليزية، فطبعت المشيخة الأزهرية منه عشرة آلاف نسخة نشرنا كثيرا منها لمن لا يستطيعون فهم العربية ولا تزال تبعث منها للأجانب الراغبين.

فأله نرجو أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يعوض المسلمين فيه خيرا، وأن يجعل من جهاده وإخلاصه وسيرته الطيبة، خير مثال للصالحين، ومنارة هدى للسالكين.

(١) اعتمدنا فى إيراد هذه الاسماء وفى سبى ميلاده ونحضره على ما كتبه عنه فضيلة الأستاذ محمد زاهد السكونى